

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ يكون المعنى: ولكل أمة رسول شاهد عليهم، فإذا جاء رسولهم يوم القيامة قضي بينهم، مثل: ﴿كَفَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾^(١) [النساء: ٤١]. وقال ابن عباس: تُنكر الكفارُ غداً مجيء الرُّسل إليهم، فيؤتى بالرُّسول فيقول: قد أبلغتكم^(٢) الرُّسالة، فحينئذ يُقضى عليهم بالعذاب، دليلاً قوله: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ويجوز أن يكون المعنى: أنهم لا يُعذبون في الدنيا حتى يُرسل إليهم، فمن آمن فاز ونجا، ومن لم يؤمن هلك وعذب، دليلاً قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٣) [الإسراء: ١٥]. والقِسْطُ: العدل. «وهم لا يُظلمون» أي: لا يُعذبون بغير ذنب، ولا يُؤاخذون بغير حُجَّة^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤٨﴾

يُريد كفارَ مكة؛ لفرط إنكارهم، واستعجالهم العذاب، أي: متى العقاب، أو متى القيامة التي يَعِدُّنا محمد. وقيل: هو عامٌ في كل أمة كذبت رسولها^(٥).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٥٧/٢.

(٢) في (ز) و(ظ) و(ف): أبلغتهم.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٥٧/٢.

(٤) تفسير البغوي ٣٥٦/٢.

(٥) ينظر زاد المسير ٣٧/٤.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ لَمَّا اسْتَعْجَلُوا النَّبِيَّ ﷺ بِالْعَذَابِ قَالَ اللَّهُ لَهُ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، أَي: لَيْسَ ذَلِكَ لِي وَلَا لِغَيْرِي. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أَنْ أَمْلِكَهُ وَأَقْدِرَ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ أَقْدِرُ أَنْ أَمْلِكَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ؟! فَلَا تَسْتَعْجِلُوا^(١). ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ أَي: لِهَلَاكِهِمْ وَعَذَابِهِمْ وَقْتُ مَعْلُومٍ فِي عِلْمِهِ سُبْحَانَهُ. ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ أَي: وَقْتُ انْقِضَاءِ أَجْلِهِمْ. ﴿فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أَي: لَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَسْتَأْخِرُوا سَاعَةً بَاقِينَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ فِيؤَخَّرُونَ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ عَذَابُهُ بَيْنًا أَوْ نَهَارًا مَآذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ عَذَابُهُ بَيْنًا أَوْ نَهَارًا﴾ ظَرْفَانِ، وَهُوَ جَوَابٌ لِقَوْلِهِمْ: «مَتَى هَذَا الْوَعْدُ»، وَتَسْفِيَةٌ لِأَرَائِهِمْ فِي اسْتَعْجَالِهِمُ الْعَذَابَ، أَي: إِنْ أَتَاكُمْ الْعَذَابُ؛ فَمَا نَفَعَكُمْ فِيهِ؟ وَلَا يَنْفَعُكُمُ الْإِيمَانُ حِينَئِذٍ. ﴿مَآذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ اسْتَفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّهْوِيلُ وَالتَّعْظِيمُ، أَي: مَا أَعْظَمَ مَا يَسْتَعْجِلُونَ بِهِ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ يُطَلَبُ أَمْرًا يَسْتَوْجِمُ عَاقِبَتَهُ: مَاذَا تَجْنِي عَلَى نَفْسِكَ^(٢)؟ وَالضَّمِيرُ فِي «مِنْهُ» قِيلَ: يَعُودُ عَلَى الْعَذَابِ، وَقِيلَ: يَعُودُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال النحاس^(٣): إِنْ جَعَلْتَ الْهَاءَ فِي «مِنْهُ» تَعُودُ عَلَى الْعَذَابِ؛ كَانَ لَكَ فِي «مَآذَا» تَقْدِيرَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ «مَا» فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَ«ذَا» بِمَعْنَى الَّذِي، وَهُوَ خَبَرُ «مَا»، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ. وَالتَّقْدِيرُ الْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ «مَآذَا» اسْمًا وَاحِدًا فِي مَوْضِعِ

(١) ينظر تفسير أبي الليث ١٠١/٢ .

(٢) الكلام بنحوه في الوسيط ٥٥٠/٢ .

(٣) في إعراب القرآن ٢٥٧/٢ - ٢٥٨ .

رَفَعُ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَالْخَبْرُ فِي الْجُمْلَةِ؛ قَالَهُ الزَّجَاجُ^(١). وَإِنْ جَعَلْتَ الْهَاءَ فِي «مِنْهُ» تَعُودُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلْتَ «مَا»، وَ«ذَا» شَيْئاً وَاحِداً، وَكَانَتْ^(٢) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِ«يَسْتَعْجِلُ»؛ وَالْمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ يَسْتَعْجِلُ^(٣) الْمَجْرُمُونَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنُكُمْ بِهِمْ ءَأَلْفَنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِمْ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنُكُمْ بِهِمْ ءَأَلْفَنْ﴾ فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: أَتَأْمِنُونَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ الْعَذَابُ، ثُمَّ يُقَالُ لَكُمْ إِذَا حَلَّ: الْآنَ آمَنْتُمْ بِهِ^(٤)؟ قِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ اسْتَهْزَاءً بِهِمْ. وَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَدَخَلَتْ أَلْفُ الْاسْتِفْهَامِ عَلَى «ثُمَّ»، وَالْمَعْنَى: التَّقْرِيرُ وَالتَّوْبِيخُ، وَلِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةَ بَعْدَ الْأُولَى.

وقيل: إِنَّ «ثُمَّ» هَاهُنَا بِمَعْنَى: «ثُمَّ» بِفَتْحِ الثَّاءِ، فَتَكُونُ ظَرْفًا، وَالْمَعْنَى: أَهْنَالِكَ، وَهُوَ مَذْهَبُ الطَّبْرِيِّ^(٥)، وَحَيْثُ لَا يَكُونُ فِيهِ مَعْنَى الْاسْتِفْهَامِ.

و«الآن» قِيلَ: أَصْلُهُ [أَنْ:] فَعَلَ مَبْنِيٌّ مِثْلُ: حَانَ، وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ لِتَحْوِيلِهِ إِلَى الْأَسْمِ. الْخَلِيلُ: بُنِيَتْ^(٦) لِالتَّعَارُفِ السَّاكِنِينَ، وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ لِلْعَهْدِ وَالْإِشَارَةِ إِلَى الْوَقْتِ، وَهُوَ حَدُّ الزَّمَانِينَ^(٧). ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِمْ﴾ أَيُّ: بِالْعَذَابِ ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

(١) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ٣/٢٤، وَنَقَلَهُ الْمُصَنِّفُ عَنْهُ بِوَسْطَةِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ.

(٢) فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ: وَإِنْ جَعَلْتَ الْهَاءَ فِي «مِنْهُ» تَعُودُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَجَعَلْتَ «مَاذَا» شَيْئاً وَاحِداً، كَانَتْ....

(٣) بَعْدَهَا فِي النِّسْخِ: مِنْهُ، وَالمُثَبِّتُ مِنْ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ، وَمَعَانِي الزَّجَاجِ.

(٤) إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٢/٢٥٨.

(٥) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٢/١٩٠ - ١٩١. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي الْمَحْرَرِ الْوَجِيزِ ٣/١٢٤: وَمَا ادَّعَاهُ الطَّبْرِيُّ غَيْرَ مَعْرُوفٍ.

(٦) يَنْظُرُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٢/٢٥٨، وَالْكَلامُ فِيهِ بِنَحْوِهِ، وَمَا سَلَفَ بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْهُ.

(٧) يَعْنِي حَدَّ الزَّمَانِ الْمَاضِي مِنْ آخِرِهِ وَحَدَّ الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ أَوَّلِهِ. تَأْوِيلُ مَشْكَالِ الْقُرْآنِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ ص ٣٩٨.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: تقول لهم خزنة جهنم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: الذي لا ينقطع. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاء كفركم (١).

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَأْذِنُكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَأْذِنُكَ﴾ أي: يستخبرونك يا محمد عن كون العذاب وقيام الساعة: ﴿أَحَقُّ﴾ ابتداء. ﴿هُوَ﴾ [فاعل] سَدَّ مَسَدَ الْخَبْرِ، وهذا قولٌ سيويبه. ويجوز أن يكون «هو» مبتدأ، و«أحقُّ» خبره (٢).

﴿قُلْ إِي﴾ «إي» كلمةٌ تحقيقي وإيجابٍ وتأكيدي بمعنى: نعم. ﴿وَرَبِّي﴾ قَسَمٌ. ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ جوابه، أي: كائن لا شك فيه. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: فائتين عن عذابه ومُجازاته (٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ أي: أشركت وكفرت. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ملكاً. ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ أي: من عذاب الله، يعني: ولا يُقبل منها (٤)، كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُفْعَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ قِيلٌ إِلَّا فِي الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَنفَدْنَا بِهِ﴾ [آل عمران: ٩١]. وقد تقدّم.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها، يعني رؤساءهم، أي: أخفوا

(١) ينظر تفسير أبي الليث ١٠١/٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٥٨/٢، وما بين حاصرتين منه.

(٣) تفسير البغوي ٣٥٧/٢.

(٤) تفسير أبي الليث ١٠٢/٢.

ندامتهم عن أتباعهم. ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ وهذا قبل الإحراق بالنار، فإذا وقعوا في النار ألّهتهم النار عن التصنع، بدليل قولهم: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا [المؤمنون: ١٠٦]. فبيّن أنهم لا يكتُمون ما بهم. وقيل: «أسرّوا»: أظهروا، والكلمة من الأضداد، ويدلّ عليه أن الآخرة ليست دار تجلّد وتَصْبِر^(١). وقيل: وجدوا ألمّ الحسرة في قلوبهم؛ لأن الندامة لا يُمكن إظهارها. قال كُثَيِّر:

فأسررتُ الندامةَ يومَ نادى بردُ جمالِ غاضرةِ المُنادي^(٢)

وذكر المبرد فيه وجهاً ثالثاً^(٣): أنه بدتْ بالندامة أسيرةٌ وجوههم، وهي تكاسيرُ الجبهة، واحدها سِرَار. والندامة: الحسرة لوقوع شيء أو قوت شيء، وأصلها اللزوم، ومنه: النديم لأنه يُلازم المجالس. وفلان نادمٌ سادمٌ. والسّدم: اللّهج بالشيء. ونديمٌ وتندّم^(٤) بالشيء، أي: اهتمّ به. قال الجوهري^(٥): السّدم - بالتحريك - الندم والحزن؛ وقد سدم بالكسر، أي: اهتمّ وحزن، ورجل نادمٌ سادمٌ، وندمانٌ سدمانٌ، وقيل: هو إتياع. وما له همٌّ ولا سدمٌ إلا ذلك. وقيل: النّدم مقلوبُ الدّمن^(٦)، والدّمن: اللزوم، ومنه فلان مُدمن الخمر. والدّمن: ما اجتمع في الدار وتلبّد من الأبوال والأبعار، سُمّي به لِلزومه. والدّمنة: الحقد الملازم للصدر، والجمع دِمن. وقد دَمِنَتْ قلوبُهُم؛ بالكسر، يقال: دَمِنْتُ على فلان، أي: ضَغِنْتُ.

﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي: بين الرؤساء والسّفّل؛ بالعدل^(٧). ﴿وَهُمْ لَا

يُظَلِّمُونَ﴾.

(١) ينظر تفسير البيهقي ٣٥٧/٢، وتفسير الرازي ١١١/١٧ - ١١٢.

(٢) ديوان كُثَيِّر عَزّة ص ١٣٧، وقوله: غاضرة: اسم امرأة.

(٣) نقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٤٣٨/٢.

(٤) في (ز) و(ظ) و(ف): سدم.

(٥) في الصحاح (سدم) و(ندم) و(دمن).

(٦) في الصحاح (ندم): المنادمة مقلوبة من المدامة.

(٧) تفسير أبي الليث ١٠٢/٢.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

«ألا» كلمة تنبيه للسامع، تُراد في أوّل الكلام، أي: انتبهوا لما أقول لكم: ﴿إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: له مُلكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فلا مانع يمنعه من إنفاذ ما وعده^(١). ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

قوله تعالى: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾
بَيْنَ الْمَعْنَى، وقد تقدّم^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ يعني: قريشاً. ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾ أي: وعظ. ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن، فيه مواعظٌ وحِكَمٌ^(٣). ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: من الشكِّ والنفاقِ والخلافِ والشقاق. ﴿وَهُدًى﴾ أي: رَشْدٌ لمن اتَّبَعَهُ. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: نعمةٌ. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصَّصهم؛ لأنَّهم المنتفعون بالإيمان، والكلُّ صفاتُ القرآن، والعطفُ لتأكيد المدح. قال الشاعر:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمَامِ وليثِ الكَتِيبَةِ في المُرْدَحَمِ^(٤)

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ قال أبو سعيد الخُدريّ وابن عباس رضي الله عنهما: فضلُ الله القرآن، ورحمته الإسلام. وعنهما أيضاً: فضلُ الله القرآن،

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٥٩.

(٢) ١/٣٧٣ وما بعدها.

(٣) الوسيط للواحيدي ٢/٥٥٠.

(٤) سلف ٢/٨٥، وقوله: القرم: السيد.

ورحمته أن جعلكم من أهله. وعن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة: فضل الله الإيمان، ورحمته القرآن، على العكس من القول الأول^(١). وقيل غير هذا.

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ إشارة إلى الفضل والرحمة. والعرب تأتي «بذلك» للواحد والاثنين والجميع. ورؤي عن النبي ﷺ أنه قرأ: «فبذلك فلتفرحوا» بالثناء، وهي قراءة يزيد بن القعقاع^(٢) ويعقوب^(٣) وغيرهما، وفي الحديث: «لتأخذوا مصافقكم»^(٤).

والفرح لذة في القلب بإدراك المحبوب. وقد دُمَّ الفرح في مواضع، كقوله: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَفِرْحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]، ولكنه مطلق. فإذا قيد الفرح لم يكن ذمًا؛ لقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، وهاهنا قال تبارك وتعالى: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ أي: بالقرآن والإسلام فليفرحوا، فقيده^(٥).

قال هارون: وفي حرف أبيي: «فبذلك فافرحوا»^(٦). قال النحاس^(٧): سبيل الأمر أن يكون باللام؛ ليكون معه حرف جازم كما أن مع النهي حرفاً؛ إلا أنهم يحذفون من الأمر للمخاطب استغناءً بمخاطبته، وربما جاؤوا به على الأصل، منه: «فبذلك فلتفرحوا».

(١) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٢/١٩٥ - ١٩٧، والنكت والعيون ٢/٤٣٩، وزاد المسير ٤٠/٤ - ٤١.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٥٩، والقراءات الشاذة ص ٥٧. وقراءة يزيد بن القعقاع (وهو أبو جعفر) المشهورة عنه: «فليفرحوا» بالياء، و«تجمعون» بالثناء، وهي قراءة ابن عامر، كما سيرد.

(٣) في رواية رؤيس عنه. النشر ٢/٢٨٥.

(٤) أورده بهذا اللفظ الفراء في معاني القرآن ١/٤٧٠ في سياق كلامه على قراءة أبيي الآتي ذكرها. وهو قطعة من حديث معاذ بن جبل ؓ عند أحمد (٢٢١٠٩)، والترمذي (٣٢٣٥) لكن بلفظ: «على مصافقكم كما أنتم»، وحينئذ فلا شاهد فيه.

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٤/٢٨٣، والمححر الوجيز ٣/١٢٦.

(٦) المحتسب ١/٣١٣. وهارون: هو ابن موسى بن شريك التغلبي، الأخفش، أبو عبد الله، الإمام الكبير، مقرئ دمشق، له تصانيف في القراءات والعربية. توفي سنة (٢٩٢هـ). السير ١٣/٥٦٦.

(٧) في إعراب القرآن ٢/٢٥٩، وما قبله منه.

﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يعني: في الدنيا. وقراءة العامة بالياء في الفعلين، وروى عن ابن عامر أنه قرأ: «فَلْيَفْرَحُوا» بالياء، «تجمعون» بالتاء^(١)، خطاباً للكافرين. وروى عن الحسن أنه قرأ بالتاء في الأول، و«يجمعون» بالياء على العكس^(٢). وروى أبان عن أنس، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَعَلَّمَهُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ شَكَا الْفَاقَةَ، كَتَبَ اللَّهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ. ثُمَّ تَلَا: ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وِرْمَتِيهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾»^(٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا﴾^(٤)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾.

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ يُخَاطَبُ كَفَّارَ مَكَّةَ^(٤). ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ «ما» في موضع نصبٍ بـ «أَرَأَيْتُمْ»، وقال الزجاج^(٥): في موضع نصبٍ بـ «أَنْزَلَ». «وَأَنْزَلَ» بمعنى: خلق، كما قال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَائِدَةً مِنْ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. فيجوز أن يُعْبَرَ عَنِ الْخَلْقِ بِالْإِنْزَالِ؛ لِأَنَّ الَّذِي فِي الْأَرْضِ مِنَ الرِّزْقِ إِنَّمَا هُوَ بِمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ الْمَطَرِ^(٦).

(١) السبعة ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ، والتيسير ص ١٢٢ .

(٢) ينظر المحتسب ١/٣١٣ .

(٣) النكت والعيون ٢/٤٣٩ . وأخرجه أبو القاسم بن بشران في أماليه كما في الدر المنثور ٣/٣٠٩ .

وأبان: هو ابن أبي عيَّاش فيروز، أبو إسماعيل البصري. قال أحمد ويحيى بن معين: متروك. ميزان الاعتدال ١/١٠ .

(٤) تفسير البغوي ٢/٣٥٨ .

(٥) في معاني القرآن ٣/٢٥ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٥٩ .

(٦) تفسير الرازي ١٧/١٢٠ .

﴿فَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ قال مجاهد: هو ما حَكَمُوا به مِنْ تحريم البَحِيرَة والسَّائِبَة والوَصِيلَة والحام^(١). وقال الضَّحَّاك: هو قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ﴾ أي: في التَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ. ﴿أُذِرْ عَلَى اللَّهِ﴾ «أم» بمعنى: بل. ﴿تَنْتَرُونَ﴾ هو قولهم: إنَّ الله أمرنا بها^(٢).

الثانية: استدلالٌ بهذه الآية من نفي القياس، وهذا بعيد؛ فإنَّ القياسَ دليلُ الله تعالى، فيكون التَّحْلِيلُ والتَّحْرِيمُ من الله تعالى عند وجود دلالَةٍ نصَّبهَا الله تعالى على الحُكْمِ، فإنَّ خالفَ في كونِ القياسِ دليلًا لله تعالى فهو خروجٌ عن هذا الغرضِ ورجوعٌ إلى غيره^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ «يوم» منصوبٌ على الظرف، أو بالظنِّ، نحو ما ظنُّكَ زيداً^(٤)، والمعنى: أيحسبون أنَّ الله لا يُؤاخذهم به^(٥). ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: في التأخيرِ والإمهال. وقيل: أرادَ أهلَ مكة حين جعلهم في حَرَمِ آمَن. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني الكفار. ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله على نِعَمِهِ، ولا في تأخيرِ العذابِ عنهم. وقيل: «لا يشكرون»: لا يُوحِّدون^(٦).

(١) سلف شرحها ٢٣٧/٨.

(٢) تفسير البغوي ٣٥٨/٢، وأخرج قولي مجاهد والضحاك الطبري ٢٠٢/١٢ - ٢٠٣.

(٣) أحكام القرآن للكبلي الهراسي ٢٢٣/٣، وينظر أحكام القرآن للجصاص ١٦٣/٣.

(٤) ينظر الكشاف ٢٤٢/٢.

(٥) تفسير البغوي ٣٥٨/٢.

(٦) ينظر الوسيط للواحدي ٣٧١/١، والوجيز له (بهاشم مراح لبيد) ٣٧١/١.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَنْصُرُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ «ما» للجحد، أي: لست في شأن، يعني: من عبادة أو غيرها إلا والرَّبُّ مُطَّلَعٌ عليك. والشأن: الخطب والأمر، وجمعه شؤون. قال الأخفش: تقول العرب: ما شأنتُ شأنه، أي: ما عملتُ عمله^(١).

﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ قال الفراء والزجاج: الهاء في «منه» تعود على الشأن، أي: تُحدثُ شأنًا فيُتلى من أجله القرآن؛ فيعلم كيف حكمه، أو ينزل فيه قرآنٌ فيُتلى^(٢). وقال الطبري^(٣): «منه» أي: من كتاب الله تعالى من قرآنٍ؛ أعاد تفخيماً، كقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [طه: ١٤]. ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ يُخاطب النبي ﷺ والأُمَّة. وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ خطابٌ له، والمراد هو وأُمَّته، وقد يُخاطب الرسول والمراد هو وأتباعه^(٤). وقيل: المراد كفار قريش. ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ أي: نَعْلَمُهُ^(٥)، ونظيره: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: تأخذون فيه^(٦)، والهاء عائدة على العمل^(٧)، يقال: أفاضَ فلانٌ في الحديث والعمل: إذا اندفع فيه. قال الراعي:

فأفضنَ بعدَ كُظومِهِنَّ بِجِرَّةٍ مِنْ ذِي الْأَبَاطِحِ إِذْ رَعَيْنَ حَقِيلًا^(٨)

(١) ذكره الرازي في تفسيره ١٧/١٢١.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٥٩، وقول الزجاج في معاني القرآن ٣/٢٦.

(٣) في تفسيره ١٢/٢٠٤. وينظر الكشاف ٢/٢٤٢.

(٤) ينظر الوسيط للواحدى ٢/٥٥٢.

(٥) في (ز) و(ظ): بعلمه.

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٩٧.

(٧) تفسير البغوي ٢/٣٥٩.

(٨) ديوان الراعي ص ٢٢٤، وسلف ٥/٣١٨، فينظر شرح غريبه ثمة، وينظر تهذيب اللغة ١٢/٧٨.

ابن عباس: «تُفِيضُونَ فِيهِ»: تفعلونه^(١). الأخفش: تتكلمون. ابن زيد: تخوضون. ابن كيسان: تنشرون القول. وقال الضحاك: الهاء عائدة على القرآن، المعنى: إذ تُشيعون في القرآن الكذب^(٢).

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: يغيب^(٣). وقال أبو روق: يبعُدُ. وقال ابن كيسان: يذهب.

وقرأ الكسائي: «يعزب» بكسر الزاي حيث وقع؛ وضمّ الباقون^(٤)، وهما لغتان فصيحتان، نحو يَعْرِشُ وَيَعْرِشُ^(٥). ﴿مِنْ مِثْقَالِ﴾ «من» صلة؛ أي: وما يعزب عن ربك مِثْقَالِ ﴿ذَرَّةٍ﴾، أي: وزن ذرة، أي: نَمِيْلَةٌ حمراء صغيرة، وقد تقدّم في «النساء»^(٦). ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ عطف على لفظ «مِثْقَالِ»، وإن شئت على «ذرة». وقرأ يعقوب وحزمة برفع الراء فيهما^(٧) عطفاً على موضع «مِثْقَالِ»؛ لأن «من» زائدة للتأكيد. وقال الزجاج: ويجوزُ الرفع على الابتداء^(٨). وخبره: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٩) يعني: اللوح المحفوظ مع علم الله تعالى به.

قال الجرجاني: «إلا» بمعنى واو النسق، أي: وهو في كتاب مُبِينٍ، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النمل: ١٠-١١] أي: ومن ظلم. وقوله: ﴿بَلَّغْ لِقَوْمٍ يُكْفِرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠] أي: والذين ظلموا

(١) أخرجه الطبري ٢٠٤/١٢.

(٢) أخرجه الطبري ٢٠٥/١٢.

(٣) أخرجه الطبري ٢٠٨/١٢.

(٤) السبعة ص ٣٢٨، والتيسر ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٥٢٠.

(٦) ٣٢١/٦ - ٣٢٢. وينظر الوسيط للواحد ٢/٢٥٢، وتفسير البغوي ٢/٣٥٩.

(٧) السبعة ص ٣٢٨، والتيسر ص ١٢٣، والنشر ٢/٢٨٥.

(٨) ينظر معاني القرآن له ٣/٢٦.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٠.

منهم^(١). ف «إلا» بمعنى واو النسق. وأضمر «هو» بعده، كقوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] أي: هي حِطَّة، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ [النساء: ١٧١] أي: هم ثلاثة. ونظير ما نحن فيه: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] أي: وهو في كتاب مُبين.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الآخرة. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لفقد الدنيا. وقيل: لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، أي: مَنْ تَوَلَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَتَوَلَّى حِفْظَهُ وَجِبَابَتَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ فَلَا يَخَافُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَحْزَنُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا﴾ أي: عن جهنم ﴿مُبْعَدُونَ﴾ إلى قوله ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقَ الْأَكْبَرُ﴾^(٢) [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

ورَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ: مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «الَّذِينَ يُذَكِّرُ اللَّهَ بِرُؤْيَتِهِمْ»^(٣).

وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ؛ تَغِيْطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى». قيل: يا رسول الله، خبِّرنا مَنْ هُمْ، وما أعمالهم، فلعلنا نجبهم؟ قال: «هم قومٌ تحابوا في الله على غيرِ أرحامٍ بينهم ولا أموالٍ يتعاطون بها، فوالله إنَّ وجوههم لنورٌ، وإنهم على منابرٍ من نورٍ، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حزن الناسُ» ثم قرأ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤).

(١) قال الرازي في تفسيره ١٢٤/١ : هذا الوجه في غاية التعسف، وقال أبو حيان في البحر ١٧٥/٥ : وهذا قول ضعيف، ولم يثبت من لسان العرب وضع «إلا» موضع الواو.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٠/٢ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٠٩/١٢ ، وهو مرسل. وأخرجه النسائي في الكبرى (١١١٧١)، والطبراني في الكبير (١٢٣٢٥)، والبخاري (٣٦٢٦) (زوائد) عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٥٢٧)، والطبري ٢١١/١٢ - ٢١٢ ، وفي الباب عن أبي هريرة ؓ أخرجه النسائي في الكبرى (١١١٧٢)، والطبري ٢١١/١٢ ، وصححه ابن حبان (٥٧٣).

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: أولياء الله قوم صُفِرَ الوجوه من السَّهر، غُمِسَ العيون من العِبر، حُمِصُ البطون من الجوع، يُسُّ الشَّفاه من الذَّوي^(١).

وقيل: «لا خَوْفٌ عليهم» في ذُرِّيَّتِهِمْ؛ لأنَّ الله يتولَّاهم. «ولا هم يحزنُونَ» على دنياهم؛ لتعويضِ الله إياهم في أولاهم وأخراهم؛ لأنه وليهم ومولاهم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾

هذه صفةُ أولياءِ الله تعالى، فيكون: ﴿الَّذِينَ﴾ في موضعِ نَصْبٍ على البدل من اسم «إن» وهو «أولياء». وإن شئتَ على أعني. وقيل: هو ابتداءً، وخبره: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢)، فيكون مقطوعاً مما قبله. أي: يتَّقون الشُّرك والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بَدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ عن أبي الدرداء قال: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال: «ما سألتني أحدٌ عنها غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له». خرَّجه الترمذي في «جامعه»^(٣). وقال الزُّهريُّ ووعطاء وقتادة: هي البشارة التي تُبشِّرُ بها الملائكةُ المؤمنَ في الدنيا عند الموت^(٤).

وعن محمد بن كعب القرظي قال: إذا استنقعتُ نفسُ العبدِ المؤمنِ^(٥) جاءه

(١) نسبه العجلوني في كشف الخفاء ٥٨/١ للثعلبي، وهو ضعيف. قوله: الذوي، أي: الذبول.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٠.

(٣) الحديث (٣١٠٦)، وهو في مسند أحمد (٢٧٥٢٠) مختصر، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وعبادة ابن الصامت عليه السلام عند أحمد (٧٠٤٤) و(٢٢٦٨٨).

(٤) أخرج قول الزُّهري وقتادة الطبري ١٢/٢٢٤، وذكره البغوي في تفسيره ٣٦٠/٢ عن عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أي: إذا اجتمعت فيه تريد الخروج، كما يستنقع الماء في قراره. وأراد بالنفس الروح. النهاية (نقع).

مَلِكِ الْمَوْتِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّيَ اللّٰهِ، اللّٰهُ يُقَرِّبُكَ السَّلَامَ. ثم نزع بهذه الآية:
﴿الَّذِينَ نُوَدِّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [النحل: ٣٢] ذكره ابن المبارك^(١).

وقال قتادة والضحاك: هي أن يعلم أين هو من قبل أن يموت^(٢). وقال الحسن:
هي ما يبشّره الله تعالى في كتابه من جنّته وكريم ثوابه؛ لقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ
بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: ٢١]، وقوله: ﴿وَيُبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ
لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقوله: ﴿وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].
ولهذا قال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّٰهِ﴾ أي: لا تخلف لمواعيده، وذلك لأن مواعيده
بكلماته.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قيل: بالجنة إذا خرجوا من قبورهم. وقيل: إذا خرجت الروح
بُشِّرَتْ برضوان الله^(٣).

وذكر أبو إسحاق الثعلبي: سمعتُ أبا بكر محمد بن عبد الله الجوزقي^(٤) يقول:
رأيتُ أبا عبد الله الحافظ في المنام راكباً برذوناً عليه طيلسان وعمامة، فسلمتُ عليه
وقلت له: أهلاً بك، إنا لا نزال نذكرك ونذكر محاسنك، فقال: ونحن لا نزال
نذكرك ونذكر محاسنك؛ قال الله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾
الثناء الحسن، وأشار بيده.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّٰهِ﴾ أي: لا تخلف لوعده. وقيل: لا تبديل لأخباره، أي: لا
يُنسَخُها بشيء، ولا تكون إلا كما قال: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: ما يصيرُ إليه
أولياؤه فهو الفوز العظيم.

(١) في الزهد (٤٤٢).

(٢) النكت والعيون ٤٤١/٢، وأخرجه الطبري ٢٢٥/١٢ عن الضحاك.

(٣) ينظر الوسيط للواحدى ٥٥٣/٢ - ٥٥٤، وتفسير البغوي ٣٦٠/٢، وفيهما قول الحسن السالف.

(٤) الخراساني، الحافظ، المجود، له كتاب الصحيح المخرج على كتاب مسلم، والمثقف الكبير، يكون
في ثلاث مئة جزء. توفي سنة (٣٨٨هـ). وجوزق من قرى نيسابور. السير ٤٩٣/١٦.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تمَّ الكلام، أي: لا يحزنك افتراؤهم وتكذيبهم لك، ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ أي: القوَّة الكاملة، والغلبة الشاملة، والقدرة التامة لله وحده؛ فهو ناصرُك ومُعِينُك ومَانِعُك.

﴿جَمِيعًا﴾ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ^(١)، وَلَا يُعَارِضُ هَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، فَإِنَّ كُلَّ عِزَّةٍ بِاللَّهِ فِيهَا كَلْمٌ لِلَّهِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفافات: ١٨٠].

﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ السَّمِيعُ لِقَوْلِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ، الْعَلِيمُ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَجَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يحكم فيهم بما يُرِيدُ، وَيَفْعَلُ فِيهِمْ مَا يَشَاءُ، سُبْحَانَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ «ما» للنفي، أي: لَا يَتَّبِعُونَ شُرَكَاءَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بَلْ يَظُنُّونَ أَنَّهَا تَشْفَعُ أَوْ تَنْفَعُ. وَقِيلَ: «ما» اسْتِفْهَامٌ، أَي: أَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ؟! تَقْيِيحًا لِفَعْلِهِمْ^(٢)، ثُمَّ أَجَابَ فَقَالَ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي: يَحْدِثُونَ وَيَكْذِبُونَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ^(٣).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦١.

(٢) ينظر تفسير البغوي ٢/٣٦١، وتفسير الرازي ١٧/١٣١.

(٣) ٧/٩. وينظر زاد المسير ٤/٤٦.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ بيّن أن الواجب عبادة من يقدر على خلق الليل والنهار؛ لا عبادة من لا يقدر على شيء. «لِتَسْكُنُوا فِيهِ» أي: مع أزواجكم وأولادكم ليزول التعب والكلال بكم. والسكون: الهدوء عن الاضطراب. قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: مضيئاً لتهتدوا به في حوائجكم. والمُبْصِر: الذي يبصر، والنهار يُبصر فيه. وقال: «مُبْصِرًا»؛ تجوزاً وتوسعاً على عادة العرب في قولهم: ليلٌ قائم ونهارٌ صائم. وقال جرير:

لقد لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى
وَنَمَتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ^(١)
وقال قُظْرُب: يقال: أظلمَ الليلُ، أي: صار ذا ظلمة، وأضاء النهار وأبصر، أي: صار ذا ضياء وبصر^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: علامات ودلالات. ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي: سماع اعتبار.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ يعني: الكفار. وقد تقدّم^(٣). ﴿سُبْحَانَهُ﴾ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الصَّاحِبِيَّةِ وَالْأَوْلَادِ، وَعَنِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ. ﴿هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ثم أخبر بغناه المطلق، وأنَّ له ما في السماوات والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، ﴿إِنْ كُنتُمْ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

(١) ديوان جرير ٩٩٣/٢، وينظر زاد المسير ٤٦/٤.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ١٧٧/٥.

(٣) ٣٣٣/٢.

﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بِهَذَا﴾ أي: ما عندكم من حُجَّة بهذا. ﴿أَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من إثبات الولد له، والولد يقتضي المُجانسة والمُشابهة، والله تعالى لا يُجانس شيئاً ولا يُشابه شيئاً^(١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّنَا مَرَجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْفِئُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾
قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾ أي: يختلقون. ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ أي: لا يفوزون ولا يأمنون، وتمَّ الكلام. ﴿مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: ذلك متاع، أو هو متاع في الدنيا، قاله الكسائي^(٢). وقال الأخفش: لهم متاع في الدنيا^(٣). قال أبو إسحاق^(٤): ويجوز النصب في غير القرآن على معنى: يتمتعون متاعاً. ﴿ثُمَّ إِنَّنَا مَرَجِعُهُمْ﴾ أي: رُجوعهم. ﴿ثُمَّ نُنْفِئُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ أي: الغليظ. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَفْقَهُوا إِنْ كَانُ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيِّنَاتٍ اللَّهُ فَعَلَّ اللَّهُ فَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ أمره - عليه الصلاة والسلام - أن يذكّرهم أقاصيص المتقدمين، ويُخوّفهم العذاب الأليم على كُفْرهم. وحُذفت الواو من «أتل»؛ لأنه أمر، أي: اقرأ عليهم خبر نوح. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ «إذ» في موضع نصب^(٥).

(١) في (ز) و(ظ) و(ف): ولا يشبهه شيء.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦١.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/١٣١، ولم ينسبه لأحد.

(٤) هو الزجاج، وكلامه في معاني القرآن له ٣/٢٧، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٦١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦١.

﴿يَقُولُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ أَي: عَظُمَ وَثَقُلَ عَلَيْكُمْ. ﴿مَقَامِي﴾ المَقَام؛ بفتح الميم: الموضوع الذي يقوم فيه. والمُقَام - بالضم - : الإقامة. ولم يُقرأ به فيما عَلِمْتُ^(١)، أَي: إِنَّ طَالَ عَلَيْكُمْ لُبْنِي فِيكُمْ. ﴿وَتَذَكِّرِي﴾ أَيَاكُمْ، وتخويفي لكم. ﴿يَقَايَتِ اللَّهُ﴾ وَعَزَمْتُمْ عَلَى قَتْلِي وَطَرَدِي. ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أَي: اعتمدتُ. وهذا هو جوابُ الشرط، ولم يزل عليه الصلاة والسلام متوكِّلاً على الله في كل حال، ولكن بَيْنَ أَنَّهُ متوكِّلٌ فِي هَذَا عَلَى الْخُصُوصِ؛ ليعرف قَوْمُهُ أَنَّ اللَّهَ يَكْفِيهِ أَمْرَهُمْ، أَي: إِنَّ لَمْ تَنْصُرُونِي فإني أَتَوَكَّلُ عَلَى مَنْ يَنْصُرُنِي^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ قراءة العامة^(٣): «فَأَجْمِعُوا» بقطع الألف، «شُرَكَاءَكُمْ» بالنصب. وقرأ عاصمُ الجَحْدَرِيُّ: «فَأَجْمِعُوا» بوصل الألف وفتح الميم؛ مِنْ جَمَعَ يَجْمَعُ، «شُرَكَاءَكُمْ» بالنصب. وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق ويعقوب: «فَأَجْمِعُوا» بقطع الألف «شُرَكَاءَكُمْ» بالرفع^(٤).

فَأَمَّا الْقِرَاءَةُ الْأُولَى، مِنْ: أَجْمَعُ عَلَى الشَّيْءِ: إِذَا عَزَمَ عَلَيْهِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: أَجْمَعُ الشَّيْءَ: أَعَدَّهُ^(٥). وَقَالَ الْمُؤَرِّجُ: أَجْمَعْتُ الْأَمْرَ، أَفْصَحُ مِنْ: أَجْمَعْتُ عَلَيْهِ. وَأَشَدُّ: يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونَ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعٌ^(٦) قَالَ النَّحَّاسُ^(٧): وَفِي نَصْبِ الشُّرَكَاءِ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهٌ: قَالَ الْكِسَائِيُّ

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ١٣١. وفي الصحاح (قوم): وقد يكون كل واحد منهما (المقام والمقام) بمعنى الإقامة، ويكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته من: قام يقوم، فمفتوح، وإن جعلته من: أقام يقيم، فمضموم.

(٢) ينظر تفسير الرازي ١٧/ ١٣٦ - ١٣٧.

(٣) في (ز) و(ظ) و(ف): الأئمة.

(٤) يعقوب من العشرة. وينظر النشر ٢/ ٢٨٦، والقراءات الشاذة ص ٥٧، والمحاسب ١/ ٣١٤.

(٥) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٦١-٢٦٢. وما قبله منه.

(٦) زاد المسير ٤/ ٤٧ - ٤٨. والبيت في معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٣، ونوادر أبي زيد ص ١٣٣، وإصلاح المنطق ص ٢٩٣ دون نسبة.

(٧) في إعراب القرآن ٢/ ٢٦٢.

والفراء^(١): هو بمعنى: وادعوا شركاءكم لئُصرتكم. وهو منصوبٌ عندهما على إضمار هذا الفعل. وقال محمد بن يزيد: هو معطوفٌ على المعنى، كما قال:

يَا لَيْتَ زَوْجَكِ فِي الْوَعَى مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا^(٢)
والرُّمَحُ لَا يُتَقَلَّدُ، إِلَّا أَنَّهُ مَحْمُولٌ كَالسَّيْفِ.

وقال أبو إسحاق الزجاج^(٣): المعنى: مع شركائكم على تناصركم؛ كما يقال: التقى الماء والخشبة.

والقراءة الثانية من الجمع، اعتباراً بقوله تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدُهُمْ ثُمَّ أَنَّى﴾ [طه: ٦٠]. قال أبو معاذ^(٤): ويجوز أن يكون جَمَعَ وأَجْمَعَ بمعنَى واحد^(٥)، «وشركاءكم» على هذه القراءة عطف على «أمركم»، أو على معنى: فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم، وإن شئت بمعنى: مع. قال أبو جعفر النحاس^(٦): وسمعت أبا إسحاق يُجيز: قام زيد وعمراً.

والقراءة الثالثة: على أن يَعِطَفَ الشُّرَكَاءُ عَلَى الْمُضْمَرِ الْمَرْفُوعِ فِي «أَجْمَعُوا»، وَحَسُنَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ قَدْ طَالَ. قال النحاس^(٧) وغيره: وهذه القراءة تبعُدُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَرْفُوعاً لَوَجِبَ أَنْ تُكْتَبَ بِالْوَاوِ، وَلَمْ يُرَفَّ فِي الْمَصَاحِفِ وَآو فِي قَوْلِهِ: «وشركاءكم»، وَأَيْضاً فَإِنَّ شُرَكَاءَهُمُ الْأَصْنَامُ، وَالْأَصْنَامُ لَا تَصْنَعُ شَيْئاً، وَلَا فَعَلَ لَهَا حَتَّى تُجْمَعَ.

(١) في معاني القرآن ٤٧٣/١.

(٢) قائله عبد الله بن الزبيري، وهو في ديوانه ص ٣٢، وفيه: قد غدا، بدل: في الوغى. وسلف البيت ٢٩١/١. وينظر الكامل لمحمد بن يزيد المبرد ٤٣٢/١ و ٨٣٦/٢.

(٣) في معاني القرآن ٢٨/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٦٢/٢.

(٤) لعله أبو معاذ النحوي المروزي المقرئ اللغوي، له كتاب في القراءات. إنباه الرواة ١٧٩/٤.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٣٠٦/٣ دون نسبة.

(٦) في إعراب القرآن ٢٦٢/٢، وما قبله فيه بنحوه، وأبو إسحاق الآتي ذكره هو الزجاج.

(٧) في إعراب القرآن ٢٦٢/٢.

قال المهدوي: ويجوز أن يرتفع الشركاء بالابتداء، والخبر محذوف، أي: وشركاؤكم ليُجمعوا أمرهم^(١)، ونُسب ذلك إلى الشركاء - وهي لا تسمع ولا تُبصر ولا تُمَيِّز - على جهة التوبيخ لمن عبدها.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَتْرُكُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةٌ﴾ اسم «يكن» وخبرها. وغممة وغم سواء، ومعناه التغطية، من قولهم: غمَّ الهلال: إذا استتر، أي: ليكن أمركم ظاهراً مُنْكَشِفاً تتمكّنون فيه مما شئتم^(٢)؛ لا كمن يخفي أمره فلا يقدر على ما يُريد. قال طرفة:

لعمرك ما أمري عليّ بغمّةٍ نهاري ولا ليلي عليّ بسرمدٍ^(٣)
الزجاج: ﴿غمّةٌ﴾: ذا غمّ، والغمّ والغمّة، كالكرب والكربة. وقيل: إن الغمّة ضيق الأمر الذي يُوجب الغم^(٤)، فلا يتبين صاحبه لأمره مَصْدرًا لينفج عنه ما يغمه. وفي «الصحاح»: والغمّة: الكربة. قال العجاج:

بل لو شهدت الناس إذ تُكُمُوا بغمّةٍ لو لم تُفَرِّجْ غُمُوا^(٥)
يقال: أمرٌ غمّة، أي: مُبهم مُلتبس، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَتْرُكُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةٌ﴾. قال أبو عبيدة^(٦): مجازها ظلمة وضيق. والغمّة أيضاً: قعر النُحْي وغيره^(٧). قال

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ١٣٢/٣ دون نسبة.

(٢) ينظر معاني القرآن للنحاس ٣٠٦/٣. وتهذيب اللغة ١١٥/١٦.

(٣) ديوان طرفة بن العبد ص ٤٠.

(٤) النكت والعيون ٤٤٣/٢.

(٥) ديوان العجاج ص ٣٧٤، وقوله: تُكُمُوا، أي: أغمي عليهم، وغطوا. القاموس المحيط (كمم). والرجز أورده المصنف كما في الصحاح (غمم)، والذي في الديوان:

بل لو شهدت الناس إذ تُكُمُوا بِقَدْرِ حُمِّ لِهِمْ وَحُمُوا
وغمّةٍ لو لم تُفَرِّجْ غُمُوا إذ زعمت ربيعة القشعم

(٦) في مجاز القرآن ١/٢٧٩.

(٧) الصحاح (غمم)، والنُحْي: الرُقُّ، أو ما كان للسمن خاصة. القاموس المحيط (نحي).

غيره: وأصلُ هذا كُلُّهُ مشتقٌّ من العَمَامَةِ^(١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيْكَ وَلَا تُنْظَرُونَ﴾ ألف «أقضوا» ألف وصل، مِن: قَضَى يَقْضِي. قال الأخفش والكسائي: هو مثل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦] أي: أنهيناهُ إليه، وأبلغناه إيَّاه. ورُوي عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيْكَ وَلَا تُنْظَرُونَ﴾ قال: إمضوا إليَّ ولا تؤخِّروني^(٢). قال النحاس^(٣): هذا قولٌ صحيح في اللغة، ومنه: قَضَى الميثُ، أي: مضى. وأعلمهم بهذا أنهم لا يَصِلون إليه، وهذا من دلائل النبوات.

وحكى الفراء عن بعض الفُرَّاء: «ثم أقضوا إليَّ»؛ بالفاء وقَطع الألف^(٤)، أي: توجَّهوا، يقال: أفضت الخلافة إلى فلان، وأفضى إليَّ الوجع.

وهذا إخبارٌ من الله تعالى عن نبيِّه نوح عليه السلام أنه كان بنصرِ الله واثقاً، ومن كيدهم غيرَ خائف، علماً منه بأنهم وآلهتهم لا ينفعون ولا يضرُّون^(٥). وهو تعزيةٌ لنبيِّه ﷺ وتقويةٌ لقلبه.

قوله تعالى: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: فإن أعرضتم عما جئتكم به؛ فليس ذلك لأنِّي سألتكم أجراً فيثقلَ عليكم مكافأتي^(٦). ﴿إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ في

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ٢٨/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٧٠/٦ (١٠٤٨٧).

(٣) في إعراب القرآن ٢/٢٦٢، وما قبله منه.

(٤) معاني القرآن للفراء ١/٤٧٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٦٢، ونسب هذه القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٥٧ وابن جني في المحتسب ١/٣١٥ إلى السري ابن يثعم.

(٥) تفسير البغوي ٢/٣٦٢.

(٦) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٣، والنكت والعيون ٢/٤٤٣.

تبليغ رسالته. ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: الموحدين لله تعالى.

فَتَحَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصُ يَاءَ «أَجْرِي» حَيْثُ وَقَعَ، وَأَسْكَنَ الْبَاقُونَ^(١).

قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يعني نوحاً. ﴿فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي: من المؤمنين. ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ أي: السفينة، وسيأتي ذكرها^(٢). ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا﴾ أي: سكان الأرض وخلفاً ممن غرق^(٣). ﴿فَإَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ يعني آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا^(٤).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد نوح ﴿رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وغيرهم^(٥). ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالمعجزات. ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ التقدير: بما كذب به قوم نوح من قبل^(٦). وقيل: «بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» أي: من يوم^(٧) الذر، فإنه كان فيهم من كذب بقلبه، وإن قال الجميع: بلى.

(١) التيسير ص ٦٥ - ٦٦ ، والنشر ١٦٧/٢ - ١٦٨ .

(٢) في تفسير الآية (٣٨) من سورة هود.

(٣) ينظر النكت والعيون ٤٤٣/٢ .

(٤) تفسير البغوي ٣٦٢/٢ .

(٥) تفسير أبي الليث ١٠٦/٢ ، والوسيط للواحدى ٥٥٥/٢ .

(٦) تفسير البغوي ٣٦٣/٢ .

(٧) في (ف) و(م): من قبل يوم.

قال النحاس^(١): «ومن أحسن ما قيل في هذا: إنه ليقوم بأعيانهم، مثل: ﴿أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].»

﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾ أي: نختِم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُتَعَدِّينَ﴾ أي: المُجاوزين الحدَّ في الكُفر والتكذيب، فلا يؤمنوا. وهذا يردُّ على القَدَرِيَّة قولهم كما تقدّم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الرُّسل والأئم. ﴿مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أي: أشرف قومه. ﴿بِآيَاتِنَا﴾ يريد الآيات التسع، وقد تقدّم ذكرها^(٢). ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي: عن الحق. ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ أي: مشركين.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ يريد فرعون وقومه. ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ حملوا المعجزات على السحر. قال لهم موسى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾ قيل: في الكلام حذف، المعنى: أتقولون للحق: هذا سحر؟ ف«أتقولون» إنكار، وقولهم محذوف، أي: هذا سحر، ثم استأنف إنكاراً آخر من قبلة فقال: أسحر هذا؟! فحذف قولهم الأول اكتفاء بالثاني من قوله^(٣) مُنْكَرًا على فرعون وملئيه. وقال الأخفش^(٤): هو من قولهم، ودخلت الألف حكاية لقولهم؛ لأنهم قالوا:

(١) في إعراب القرآن ٢/ ٢٦٣.

(٢) ٢/ ٢٥٤، ٩/ ٣٠٩.

(٣) في (د) و(م): من قولهم. والكلام بنحوه في تفسير الطبري ١٢/ ٢٣٨ - ٢٣٩، وتفسير الرازي ١٧/ ١٤١.

(٤) في معاني القرآن ٢/ ٥٧٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٢٦٣.

أسحرُّ هذا. فقيل لهم: أتقولون للحقِّ لما جاءكم: أسحرُّ هذا^(١). ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾
أي: لا يُفْلِحُ مَنْ أتى به.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي
الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا﴾ أي: لتصرفنا وتلويِّنا، يقال: لَفَنَهُ يَلْفِنُهُ لَفْنًا: إذا
لواه وصرفه^(٢). قال الشاعر:

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى رَأَيْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعًا^(٣)
ومن هذا: التفت، إنما هو عدلٌ عن الجهة التي بين يديه^(٤). ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا﴾ يريد من عبادة الأصنام. ﴿وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ أي: العظمة والمُلْك
والسلطان. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يُريد أرضَ مصر^(٥). ويقال للمُلْك: الكبرياء، لأنه أعظم ما
يُطلب في الدنيا^(٦). ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

وقرأ ابن مسعود والحسن وغيرهما: «ويكون» بالياء^(٧)؛ لأنه تأنيثٌ غيرُ
حقيقي، وقد فُصِّلَ بينهما. وحكى سيبويه: حضر القاضي اليوم امرأتان^(٨).

(١) وقع في النسخ بعدها عبارة: وروي عن الحسن. وهو وهم من المصنف رحمه الله، لأن هذه العبارة قد
ذكرها النحاس (والكلام منه) من أجل قراءة الحسن: «ويكون لكما الكبرياء» بالياء، وستأتي في الآية
التالية.

(٢) المحرر الوجيز ٣/١٣٥.

(٣) قائله الصمة بن عبد الله القشيري، وهو في ديوانه ص ٩٤، وفيه: وجدثني، بدل: رأيتني. وقوله:
الإصغاء: أي: الإمالة. والليت: صفحة الغنق. القاموس المحيط (ليت). والأخدع: عزق في جانب
الغنق. اللسان (خدع).

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٠٧.

(٥) تفسير أبي الليث ٢/١٠٧، وتفسير البغوي ٢/٣٦٣.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٠٨.

(٧) القراءات الشاذة ص ٥٧-٥٨.

(٨) الكتاب ٢/٣٨، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٦٣، وما قبله منه.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

إنما قاله لَمَّا رأى العصا واليدَ البيضاء، واعتقدَ أنهما سحرٌ. وقرأ حمزة والكسائيُّ وابن وثَّاب والأعمش: «سَحَّار»^(١). وقد تقدَّم في «الأعراف» القولُ فيهما^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾﴾

أي: اطرحوا على الأرض ما معكم من جبالكم وعصيّكم. وقد تقدَّم في «الأعراف» القولُ في هذا مستوفى^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ تكون «ما» في موضع رفع بالابتداء، والخبر «جئتم به»، والتقدير: أي شيء جئتم به؟ على التوبيخ والتصغير^(٤) لَمَّا جاؤوا به من السحر.

وقراءةُ أبي عمرو: «السَّحْرُ» على الاستفهام على إضمار مبتدأ، والتقدير: أهو السحر؟ ويجوز أن يكون مبتدأ، والخبرُ محذوف، التقدير: السحرُ جئتم به^(٥). ولا تكون «ما» على قراءة من استفهم بمعنى الذي، إذ لا خبر لها^(٦).

(١) قراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٢٨٩، والتيسير ص ١١٢، وقراءة ابن وثَّاب في المحرر الوجيز ١٣٥/٣، ولم نقف على من نسبها للأعمش.

(٢) ٢٩٣/٩ وما بعدها.

(٣) ٢٩٦/٩ وما بعدها.

(٤) في (ز) و (ظ) و (ف) وإعراب القرآن للنحاس ٢٦٣/٢ (والكلام منه): والتصغير. والمثبت من (د) و (م).

(٥) ذكر مكِّي في مشكل إعراب القرآن ١/٣٥١ الوجه الأول، وذكر العكبري في الإملاء ٣/٢٤٥ الوجهين، وقدَّر الثاني بلفظ: السحر هو؟ قال السمين في الدر المصون ٦/٢٤٩: وفيهما بُعد.

(٦) هذا قول مكِّي في مشكل إعراب القرآن ١/٣٥١، قال السمين الحلبي في الدر المصون ٦/٢٥٠: ليس كما ذكر، بل خبرها الجملة المقدر أحد جزأها.

وقرأ الباقون: «السَّحْرُ» على الخبر^(١)، ودليلُ هذه القراءة قراءةُ ابن مسعود: «مَا جِئْتُمْ بِهِ سِحْرٌ». وقراءةُ أبي: «مَا أَتَيْتُمْ بِهِ سِحْرٌ»؛ فـ «ما» بمعنى الذي، و«جئتم به» الصلة، وموضعُ «ما» رفع بالابتداء، والسحر خبر الابتداء. ولا تكون «ما» إذا جعلتها بمعنى الذي نصباً؛ لأن الصلة لا تعمل في الموصول^(٢).

وأجاز الفراء^(٣) نَصَبَ «السحر» بـ «جئتم»، وتكون «ما» للشرط، و«جئتم» في موضع جزم بـ «ما»، والفاء محذوفة؛ التقدير: فإن الله سيُظلمه.

ويجوز أن يُنصب «السحر» على المصدر، أي: ما جئتم به سحراً، ثم دخلت الألف واللام زائدتين، فلا يحتاجُ على هذا التقدير إلى حذفِ الفاء. واختار هذا القول النحاس^(٤)، وقال: حذفُ الفاء في المُجازاة لا يُجيزه كثيرٌ من النحويين إلا في ضرورة الشعر، كما قال:

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا^(٥)

بل ربّما قال بعضهم: إنه لا يجوز البتّة. وسمعت عليّ بن سليمان يقول: حدثني محمد بن يزيد قال: حدثني المازنيّ قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: غير النحويين هذا البيت، وإنما الرواية:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ فَالرَّحْمَنُ يَشْكُرُهُ^(٦)

وسمعتُ عليّ بن سليمان يقول: حذفُ الفاء في المُجازاة جائز. قال: والدليل

(١) السبعة ص ٣٢٨، والتيسير ص ١٢٣.

(٢) ينظر مشكل إعراب القرآن ١/٣٥١، والمحور الوجيز ٣/١٣٥، وقراءة ابن مسعود في القراءات الشاذة ص ٥٨.

(٣) في معاني القرآن له ١/٤٧٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٦٤.

(٤) في إعراب القرآن ٢/٢٦٤.

(٥) صدر بيت، اختلف في قائله، وعجزه: والشّرُّ بالشرِّ عند الله مثلان، وسلف ٣/٩٢.

(٦) خزانة الأدب ٢/٣٦٥.

على ذلك ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. ﴿وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم﴾ قراءتان مشهورتان معروفتان^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ يعني السحر. قال ابن عباس: من أخذ مضجعه من الليل، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لم يضره كيدُ ساحر، ولا نُكْتب على مسحور إلا دَفَع اللهُ عنه السَّحْرَ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ أي: يُبَيِّنُهُ ويوضِّحُهُ. ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي: بكلامه وحُجَجِهِ وبراهينه^(٣). وقيل: بعداته بالنصر. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ من آل فرعون.

قوله تعالى: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾ الهاء عائدة على موسى. قال مجاهد: أي: لم يؤمن منهم أحدٌ، وإنما آمنَ أولادُ مَنْ أرسل موسى إليهم من بني إسرائيل، لَطُولَ الزمان هَلَكَ الآباءُ وبقي الأبناء فأمنوا، وهذا اختيارُ الطبري^(٤).

والذُرِّيَّةُ: أعقابُ الإنسان، وقد تكثُر. وقيل: أراد بالذُرِّيَّةِ مؤمني بني إسرائيل^(٥). قال ابن عباس: كانوا ستِّ مئة ألف، وذلك أن يعقوبَ عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين إنساناً، فتوالدوا بمصرَ حتى بلغوا ستِّ مئة ألف^(٦). وقال ابن عباس

(١) القراءة الأولى قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي، والقراءة الثانية قرأ بها نافع وابن عامر. السبعة ص ٥٨١، والتيسير ص ١٩٥. والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٢) لم نقف عليه. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/ ١٩٧٤ نحوه من قول ليث بن أبي سليم.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٥.

(٤) في تفسيره ١٢/ ٢٤٧، وقول مجاهد في تفسيره ١/ ٢٩٥.

(٥) تفسير البغوي ٢/ ٣٦٤.

(٦) تفسير أبي الليث ٢/ ١٠٧. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٢٢٠١ من قول الربيع بن أنس.

أيضاً: «مِنْ قَوْمِهِ» يعني: من قوم فرعون، منهم مؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامراته، وماشيطة ابنته، وامرأة خازنه^(١).

وقيل: هم أقوام أبائهم من القبط، وأمهااتهم من بني إسرائيل، فسُموا ذرية كما يُسمى أولاد الفرس الذين توادوا باليمن وبلاد العرب الأبناء؛ لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم؛ قاله الفراء^(٢). وعلى هذا فالكناية^(٣) في «قَوْمِهِ» ترجع إلى موسى للقرابة من جهة الأمهات، وإلى فرعون إذ^(٤) كانوا من القبط.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ﴾ لأنه كان مُسلطاً عليهم عاتياً. ﴿وَمَلَأْنَاهُمْ﴾ ولم يقل: وملئهم. وعنه ستة أجوبة: أحدها: أن فرعون لما كان جبّاراً أخبر عنه بفعل الجميع. الثاني: أن فرعون لما ذكر عليم أن معه غيره، فعاد الضمير عليه وعليهم، وهذا أحد قولي الفراء^(٥). الثالث: أن تكون الجماعة سُميت بفرعون مثل ثمود. الرابع: أن يكون التقدير: على خوف من آل فرعون، فيكون من باب حذف المضاف مثل: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وهو القول الثاني للفراء^(٦). وهذا الجواب على مذهب سيبويه والخليل خطأ، لا يجوز عندهما: قامت هند، وأنت تريد غلامها. الخامس: مذهب الأخفش سعيد^(٧) أن يكون الضمير يعود على الذرية، أي: ملأ الذرية، وهو اختيار الطبري^(٨). السادس: أن يكون الضمير يعود على «قومه». قال النحاس^(٩): وهذا الجواب كأنه أبلغها.

(١) تفسير البغوي ٣٦٤/٢، وأخرجه الطبري ٢٤٦/١٢ دون ذكر ماشطة ابنة فرعون.

(٢) في معاني القرآن ٤٧٦/١، وينظر تفسير البغوي ٣٦٤/٢.

(٣) في (ظ): فالهاء.

(٤) في (د) و (ز) و (م): إذا، والمثبت من (ظ).

(٥) في معاني القرآن ٤٧٦/١، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٥، وما قبله منه.

(٦) في معاني القرآن ٤٧٧/١، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٥.

(٧) في معاني القرآن ٥٧٣/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٥.

(٨) في تفسيره ٢٤٩/١٢.

(٩) في إعراب القرآن ٢/٢٦٥، وما قبله منه.

﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ وَحَدَّ يَفْتِنُهُمْ «على الإخبار عن فرعون^(١)»، أي: يَصْرِفُهُمْ عن دينهم بالعقوبات، وهو في موضع خفض على أنه بدلُ اشتغال. ويجوز أن يكون في موضع نصب بـ «خوف». ولم ينصرف فرعون؛ لأنه اسمٌ أعجمي، وهو معرفة^(٢).

﴿وَرَأَى فِرْعَوْنَ لَمَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: عاتٍ مُتَكَبِّرٌ.

﴿وَأِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي: المُجاوزين الحدَّ في الكفر؛ لأنه كان عبداً، فادَّعى الربوبية^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ﴾ أي: صدَّقتُم ﴿بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ أي: اعتمدوا. ﴿إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ كَرَّرَ الشرط تأكيداً، وبيَّن أنَّ كمالَ الإيمان بتفويض الأمر إلى الله. ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: أسلمنا أمورنا إليه، ورَضِينَا بقضائه وقَدْرِهِ، وانتهينا إلى أمره^(٤).

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين، أو لا تمتحننا^(٥) بأن تعذبنا على أيديهم. وقال مجاهد: المعنى: لا تهلكنا بأيدي أعدائنا، ولا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول أعداؤنا: لو كانوا على حق لم نسلط عليهم، فيفتنوا^(٦). وقال أبو مجلز وأبو الضُّحى: يعني: لا تُظهِرهم علينا، فيروا أنهم خيرٌ منا، فيزدادوا طغياناً^(٧).

(١) تفسير الطبري ١٢/٢٥٠، وتفسير البغوي ٢/٣٦٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٥.

(٣) تفسير البغوي ٢/٣٦٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٦.

(٥) في (ظ): ولا تمتحننا.

(٦) في (ز) و (ظ): فيفتنوا.

(٧) أخرج هذه الأقوال الطبري ١٢/٢٥١ - ٢٥٢. وقول مجاهد في تفسيره ١/٢٩٥.

قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْرِ الْكٰفِرِينَ﴾ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ﴾ أي: خلصنا ﴿مِنَ الْقَوْرِ الْكٰفِرِينَ﴾ أي: من فرعون وقومه؛ لأنهم كانوا يأخذونهم بالأعمال الشاقة.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُوْتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُوْتًا﴾ فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾ أي: اتَّخِذَا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُوْتًا﴾ يقال: بوأت زيدا مكاناً، وبوأت لزيد مكاناً. والمبوء: المنزل الملزوم، ومنه: بوأه الله منزلاً، أي: ألزمه إياه وأسكنه، ومنه الحديث: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١) قال الراجز:

نحن بنو عدنان ليس شكُّ
تبوءاً المجدُّ بنا والملكُ^(٢)
ومصر في هذه الآية هي الإسكندرية؛ في قول مجاهد^(٣). وقال الضحاك: إنه البلد المسمَّى مصر^(٤)، ومصر ما بين البحر إلى أسوان، والإسكندرية من أرض مصر^(٥).

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال أكثر المفسرين: كان بنو إسرائيل لا يصلُّون إلا في مساجدهم وكنائسهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخرَّبت كلها، ومنعوا من الصلاة، فأوحى الله إلى موسى وهارون أن اتَّخِذَا وتخيَّرا لبني إسرائيل بيوتاً بمصر، أي: مساجد، ولم يُرد

(١) سلف ٥٧/١.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤٤٦/٢.

(٣) أخرجه الطبري ٢٥٩/١٢.

(٤) النكت والعيون ٤٤٦/٢.

(٥) المحرر الوجيز ١٣٨/٣.

المنازل المسكونة. هذا قول إبراهيم وابن زيد والرَّبِيع وأبي مالك وابن عباس وغيرهم^(١).

وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبَّير أنَّ المعنى: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً^(٢).

والقول الأول أصحَّ أي: اجعلوا مساجدكم إلى القبلة، قيل^(٣): بيت المقدس، وهي قبلَةُ اليهود إلى اليوم؛ قاله ابن بحر^(٤). وقيل: الكعبة. عن ابن عباس^(٥) قال: وكانت الكعبة قبلة موسى ومن معه.

وهذا يدلُّ على أنَّ القبلة في الصلاة كانت شرعاً لموسى عليه السلام، ولم تخلُ الصلاة عن شرط الطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة؛ فإنَّ ذلك أبلغ في التكليف وأوفرُّ للعبادة^(٦).

وقيل: المراد صلُّوا في بيوتكم سرّاً لتأمنوا، وذلك حين أخافهم فرعون، فأمروا بالصبر واتخاذ المساجد في البيوت، والإقدام على الصلاة، والدعاء إلى أن ينجز الله وعده، وهو المراد بقوله: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اقْبِرُوا بِالنَّاصِيَةِ وَالنَّاصِيَةُ الْوَعْدُ﴾ [الأعراف: ١٢٨] الآية. وكان من دينهم أنهم لا يصلُّون إلا في البيع والكنائس ما داموا على أمن، فإذا خافوا فقد أذن لهم أن يصلُّوا في بيوتهم. قال ابن العربي: والأوَّلُ أظهرُ القولين؛ لأنَّ الثاني دعوى^(٧).

(١) أخرج قولهم الطبري ٢٥٥/١٢ - ٢٥٧، وينظر تفسير البغوي ٢/٣٦٥.

(٢) أخرج الطبري ١٢/٢٦٠ عن سعيد بن جبَّير، وأخرجه ابن أبي حاتم ١٩٧٧/٦ (١٠٥٣٢) من طريق سعيد بن جبَّير عن ابن عباس.

(٣) في (ظ): قبل.

(٤) ذكره عن ابن بحر بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٢/٤٤٧، وذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٣/١٠٤٣ دون نسبة.

(٥) أخرج الطبري ١٢/٢٥٧ - ٢٥٨.

(٦) في النسخ: وأوفرُّ للعبادة، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٤٣، والكلام منه.

(٧) أحكام القرآن ٣/١٠٤٣، ويعني بالأول: بيت المقدس، فقد ذكره ابن العربي قبل هذا القول.

قلت: قوله: دعوى، صحيح؛ فإن في الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَظَهْوراً»^(١). وهذا ممَّا خُصَّ به دون الأنبياء، فنحن بحمدِ الله نصلِّي في المساجد والبيوت، وحيث أدركتنا الصلاة، إلا أن النافلة في المنازل أفضلُ منها في المساجد، حتى الركوع قبل الجمعة وبعدها، وقبل الصَّلوات المفروضات وبعدها؛ إذ النوافل يحصل فيها الرياء، والفرائض لا يحصل فيها ذلك، وكلما خَلَصَ العمل من الرياء كان أَوْزَنَ وَأَزْلَفَ عند الله سبحانه وتعالى.

روى مسلم^(٢) عن عبد الله بن شقيق قال: سألتُ عائشةَ عن صلاة رسول الله ﷺ، عن تطوُّعه؛ قالت: كان يصلِّي في بيتي قبل الظهر أربعاً، ثم يخرج فيصلِّي بالناس، ثم يدخل فيصلِّي ركعتين، وكان يُصلِّي بالناس المغرب، ثم يدخل فيصلِّي ركعتين، ثم يصلي بالناس العشاء، ويدخل بيتي فيصلِّي ركعتين... الحديث.

وعن ابن عمر قال: صلَّيت مع النبي ﷺ قبل الظهر سجدتين، وبعدها سجدتين، وبعد المغرب سجدتين [وبعد العشاء سجدتين، وبعد الجمعة سجدتين]. فأماً المغرب والعشاء والجمعة فصلَّيت مع النبي ﷺ في بيته^(٣).

وروى أبو داود عن كعب بن عُجرة: أن النبي ﷺ أتى مسجد بني [عبد] الأشهل فصلَّى فيه المغرب، فلَمَّا قَضَوْا صَلَاتَهُمْ؛ رَأَاهُمْ يَسْبِّحُونَ بَعْدَهَا، فَقَالَ: «هَذِهِ صَلَاةُ الْبُيُوتِ»^(٤).

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٤٢٦٣)، والبخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) عن جابر ﷺ، وسلف ٢٨٣/٢.

(٢) في صحيحه (٧٣٠)، وهو عند أحمد (٢٤٠١٩).

(٣) صحيح مسلم (٧٢٩)، وهو عند البخاري (١١٧٢) وما سلف بين حاصرتين منهما، وأخرجه بنحوه أحمد (٤٥٠٦).

(٤) سنن أبي داود (١٣٠٠)، وأخرجه أيضاً الترمذي (٦٠٤)، والنسائي في المجتبى ١٩٨/٣، وما بين حاصرتين من المصايد. وأخرج نحوه أحمد (٢٣٦٢٤) من حديث محمود بن لبيد ﷺ قوله: يسبِّحون بعدها، أي: يصلون النافلة بعد المغرب.

الثالثة: واختلف العلماء من هذا الباب في قيام رمضان، هل إيقاعه في البيت أفضل، أو في المسجد؟ فذهب مالك إلى أنه في البيت أفضل لمن قَوِيَ عليه، وبه قال أبو يوسف وبعض أصحاب الشافعي. وذهب ابن عبد الحكم وأحمد وبعض أصحاب الشافعي إلى أن حضورها في الجماعة أفضل. وقال الليث: لو قام الناس في بيوتهم ولم يقيم أحدٌ في المسجد لَأُنْبَغَى^(١) أن يخرجوا إليه.

والحجة لمالك - ومن قال بقوله - قوله ﷺ في حديث زيد بن ثابت: «فعلَيْكُمْ بالصلاة في بيوتكم، فإن خيرَ صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة» خرجه البخاري^(٢).

احتج المخالف بأن النبي ﷺ قد صلّاها في الجماعة في المسجد، ثم أخبر بالمانع الذي منعه من^(٣) الدوام على ذلك، وهو خشية أن تُفرض عليهم، فلذلك قال لهم: «فعلَيْكُمْ بالصلاة في بيوتكم». ثم إن الصحابة كانوا يصلونها في المسجد أوزاعاً متفرقين، إلى أن جمعهم عمر على قارئ واحد، فاستقر الأمر على ذلك وثبت سنة.

الرابعة: وإذا تنزلنا على أنه كان أبيع لهم أن يصلوا في بيوتهم إذا خافوا على أنفسهم، فيُستدل به على أن المعذور بالخوف وغيره يجوز له ترك الجماعة والجمعة. والعدر الذي يبيح له ذلك كالمرض الحابس، أو خوف زيادته، أو خوف جور السلطان في مالٍ أو بدنٍ دون القضاء عليه بحق. والمطر الوابل مع الوخلِ عذرٌ إن لم ينقطع، ومن له وليٌّ حميم قد حضرته الوفاة ولم يكن عنده من يمرضه، وقد فعل ذلك ابن عمر^(٤).

(١) وقع في النسخ والمفهم ٣٨٨/٢ (والكلام منه): لا ينبغي، والمثبت من إكمال المعلم ١١٢/٣، وهو الصواب. وذكر قول الليث أيضاً الجصاص في مختصر اختلاف العلماء ٣١٣/١، وابن عبد البر في التمهيد ١١٧/٨ ولفظه عندهما: لو أن الناس في رمضان قاموا لأنفسهم ولأهلبيهم كلهم حتى يُترك المسجد لا يقوم فيه أحد، لكان ينبغي أن يخرجوا من بيوتهم إلى المسجد حتى يقوموا فيه...

(٢) في صحيحه (٦١١٣) مطولاً، وسلف ٣٥٩/٤.

(٣) في النسخ: منع منه بدل: منعه منه، والمثبت من المفهم.

(٤) الكافي لابن عبد البر ٢٥٢/١ وقد ذكر هذا الكلام في التخلف عن صلاة الجمعة، وينظر المفهم ٣٣٩/٢. وخبر ابن عمر أخرجه ابن أبي شيبة ١٥٣/٢ وفيه أن ابناً لسعيد بن زيد بن نفييل كان بأرض له بالعقيق على رأس أميال من المدينة، فأتى ابن عمر غداة يوم الجمعة فذكر له شكواه، فانطلق إليه وترك الجمعة.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: الخطاب لمحمد ﷺ. وقيل: لموسى عليه السلام، وهو أظهر، أي: بشر بني إسرائيل بأن الله سيظهرهم على عدوهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ﴾ «آتَيْتَ» أي: أعطيت. ﴿زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: مال الدنيا، وكان لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والزمرد والياقوت^(١).

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ اختلف في هذه اللام، وأصح ما قيل فيها - وهو قول الخليل وسيبويه - أنها لامُ العاقبة والصيرورة^(٢)، وفي الخبر: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَكًا يَنَادِي كُلَّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَابْنُوا لِلْخِرَابِ»^(٣). أي: لما كان عاقبة أمرهم إلى الضلال صار كأنه أعطاهم ليضلوا.

وقيل: هي لامُ كي، أي: أعطيتهم لكي يضلوا ويظنوا ويتكبروا^(٤).

وقيل: هي لامُ أجل^(٥)، أي: أعطيتهم لأجل إعراضهم عنك؛ فلم يخافوا أن

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/٥٥٧، والزمخشري ٢/٢٤٩ - ٢٥٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٦.

(٣) قطعة من حديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥١٩)، والبيهقي في الشعب (١٠٧٣٠) عن أبي هريرة ؓ. وأخرجه أبو يعلى (٦٨٥)، والبيهقي في الشعب (١٠٧٣١) من حديث الزبير ؓ. قال ملا علي القاري في الأسرار المرفوعة ص ٢٧٦: قال الإمام أحمد: هو مما يدور في الأسواق، ولا أصل له. وينظر كشف الخفاء ٢/١٨٣ - ١٨٤.

(٤) تفسير الطبري ١٢/٢٦٢، وهذا قول الفراء في معاني القرآن له ١/٤٧٧ وقال البغوي ٢/٣٦٥: هي كقوله: ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا * لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦-١٧].

(٥) زاد المسير ٤/٥٦.

تُعرض عنهم.

وزعم قوم أن المعنى: أعطيتهم ذلك لئلاً يَضِلُّوا، فحذفت لا كما قال عز وجل: ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] والمعنى: لأن لا تضلوا. قال النحاس^(١): ظاهرُ هذا الجوابِ حسنٌ، إلا أن العرب لا تحذف «لا» إلا مع أن؛ فمؤه صاحبُ هذا الجوابِ بقوله عز وجل: ﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾.

وقيل: اللام للدعاء، أي: ابتليهم بالضلال عن سبيلك؛ لأن بعده: ﴿أَطِيسَ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدُّدٌ﴾^(٢).

وقيل: الفعل معنى المصدر، أي: إضلالهم، كقوله عز وجل: ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٥]^(٣).

وقرأ الكوفيون: ﴿يُضِلُّوا﴾ بضم الياء من الإضلال، وفتحها الباقون^(٤).

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَطِيسَ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: عاقبتهم على كفرهم بإهلاك أموالهم. قال الزجاج^(٥): طَمَسُ الشيء إذهابه عن صورته.

قال ابن عباس ومحمد بن كعب: صارت أموالهم ودراهمهم حجارةً منقوشة كهيئتها صحاحاً وأثلاثاً وأنصافاً^(٦)، ولم يبق لهم معدنٌ إلا طَمَسَ الله عليه، فلم ينتفع به أحدٌ بعد.

(١) في إعراب القرآن ٢/٢٦٦، وما قبله منه.

(٢) زاد المسير ٤/٥٦، ومجمع البيان ١١/٨٧، وقال الطبرسي: المعنى: ابتليهم بالبقاء على ما هم عليه من الضلال. وينظر الكشف ٢/٢٥٠.

(٣) أي: لإعراضكم عنهم، وهم لم يحلفوا لكي تُعرضوا. ويكون المعنى على هذا القول: آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم. وهذا قول أبي العباس أحمد بن يحيى كما في اللسان (لوم). وذكره الطبري ١٢/٢٦٢-٢٦٣.

(٤) قرأ عاصم وحزمة والكسائي وخلف بضم الياء، والباقون بفتحها. السبعة ص ٢٦٧، والتيسير ص ١٠٦، والنشر ٢/٢٦٢.

(٥) في معاني القرآن ٢/٣١.

(٦) ذكره البغوي ٢/٣٦٦ عن ابن عباس وحده، وذكر عن محمد بن كعب قولاً آخر، وسيأتي.

وقال قتادة: بلغنا أن أموالهم وزروعهم صارت حجارة^(١).
وقال مجاهد وعطية: أهلكتها حتى لا تُرى؛ يقال: عين مطموسة، وطمس
الموضع: إذا عفا ودرَس^(٢).

وقال ابن زيد: صارت دنائيرهم ودرَاهِمُهُمْ وفُرْشُهُمْ وكلُّ شيء لهم حجارة^(٣).
محمد بن كعب: وكان الرجل منهم يكون مع أهله في فراشه وقد صارا
حجرين^(٤)؛ قال: وسألني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك له، فدعا بخريطة أصيبت
بمصر، فأخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير وإنها لحجارة^(٥).
وقال السُّدِّيُّ: وكانت إحدى الآيات التسع^(٦).

﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أي: امنعهم الإيمان^(٧). وقيل: قَسَّهَا
وَاطْبَعَ عَلَيْهَا حتى لا تشرح للإيمان؛ والمعنى واحد^(٨).
﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ قيل: هو عطفٌ على قوله: «لِيُضِلُّوا» أي: آتيتهم النعم ليضلُّوا ولا
يؤمنوا؛ قاله الزجاج والمبرد^(٩). وعلى هذا لا يكون فيه من معنى الدعاء شيء.
وقوله: «رَبَّنَا اطْمِسْ» «وَأَشَدُّ» كلامٌ معترض.

(١) أخرجه الطبري ١٢/٢٦٥.

(٢) زاد المسير ٤/٥٧، وينظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٩٨. وخبر مجاهد في تفسيره ١/٢٩٧،
وأخرجه الطبري ١٢/٢٦٦.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/٢٦٦.

(٤) قال الألوسي في روح المعاني ١١/١٧٣: هذا مما لا يكاد يصح أصلاً وليس في الآية ما يشير إليه
بوجه. وعندني أن أخبار تغيير أموالهم إلى الحجارة لا تخلو عن وهن، فلا يعول عليها.

(٥) تفسير البغوي ٢/٣٦٦، وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/١٩٧٩ (١٠٥٤٣). والخريطة: وعاء من آدم وغيره.
معجم متن اللغة (خرط).

(٦) تفسير البغوي ٢/٣٦٦.

(٧) الوسيط للواحي ٢/٥٥٧.

(٨) ينظر الوسيط ٢/٥٥٧، وأخرج الطبري ١٢/٢٦٧، وابن أبي حاتم ٦/١٩٧٩ (١٠٥٤٦) عن ابن
عباس قال: «وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ» يعني: واطع على قلوبهم.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٣/٣١ وقد نقله الزجاج عن المبرد.

وقال الفراء والكسائي وأبو عبيدة: هو دعاء، فهو في موضع جزم عندهم؛ أي: اللهم فلا يؤمنوا، أي: فلا آمنوا^(١). ومنه قول الأعشى:

فلا يَنْبَسِطُ من بين عَيْنَيْكَ ما انزَوَى ولا تَلْقَنِي إِلَّا وأنْفِكَ راغِمُ
أي: لا انبسط^(٢). ومَنْ قال: «لِيَصِلُوا» دعاء - أي: ابتلهم بالضلال - قال: عطف عليه «فلا يُؤْمِنُوا».

وقيل: هو في موضع نصبٍ لأنه جواب الأمر، أي: واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا. وهذا قول الأخفش والفراء أيضاً، وأنشد الفراء:

يا ناقُ سيري عَنَقاً فسيحاً إلى سليمانَ فَنَسْتَرِيحاً^(٣)
فعلى هذا حذف النون لأنه منصوب.

﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ قال ابن عباس: هو الغرق^(٤).

وقد استشكل بعض الناس هذه الآية فقال: كيف دعا عليهم، وحُكِمُ الرسل استدعاءً إيمانٍ قومهم؟

فالجواب: أنه لا يجوز أن يدعو نبيٌّ على قومه إلا بإذنٍ من الله، وإعلامٍ أنه ليس فيهم مَنْ يؤمن، ولا يخرج من أصلابهم مَنْ يؤمن، دليله: قوله لنوح عليه السلام: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكُمْ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، وعند ذلك قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. والله أعلم.

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٦٩/١٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢٦٦/٢، ومشكل إعراب القرآن ٢٨١/١، وزاد المسير ٥٧/٤، وقول الفراء في معاني القرآن ٤٧٧/١، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢٨١/١.

(٢) تفسير الطبري ٢٦٩/١٢، وزاد المسير ٥٧/٤، والبيت في ديوان الأعشى ص ١٢٩، وسلف ١٢٩/٨.

(٣) معاني القرآن للفراء ٤٧٧/١ - ٤٧٨، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٦٦/٢، ومشكل إعراب القرآن ٣٥٣/١. والرجز لأبي النجم العجلي، وهو في ديوانه ص ٨٢، والكتاب ٣٥/٣. والعنق: ضربٌ من السير. والفسيح: الواسع المكين، وأراد: سليمان بن عبد الملك، والشاهد فيه نصب ما بعد الفاء على جواب الأمر. تحصيل عين الذهب ص ٣٩٤.

(٤) أخرجه الطبري ٢٦٧/١٢.

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾ قال أبو العالية: دعا موسى وأمن هارون؛ فسمي هارون - وقد آمن على الدعاء - داعياً. والتأمين على الدعاء أن يقول: آمين، فقولك: آمين؛ دعاء، أي: يا رب استجب لي^(١).

وقيل: دعا هارون مع موسى أيضاً^(٢).

وقال أهل المعاني: ربما خاطبت العرب الواحدَ بـ«خطاب الاثنين»^(٣)؛ قال الشاعر:

فقلتُ لصاحبي لا تُعْجِلْنَا بنزعِ أصوله فاجتزَّ شَيْحاً^(٤)
وهذا على أن آمين ليس بدعاء، وأن هارون لم يدعُ.

قال النحاس^(٥): سمعت علي بن سليمان يقول: الدليل على أن الدعاء لهما قولُ موسى عليه السلام: «رَبَّنَا»، ولم يقل: رب.

وقرأ علي والسلمي: «دعواتكما» بالجمع^(٦). وقرأ ابن السَّمِيفَع: «أجبتُ دعوتكما»^(٧) خبراً عن الله تعالى، ونصب «دعوة» بعده.

(١) النكت والعيون ٢/٤٤٨، وأخرج قول أبي العالية الطبري ١٢/٢٧١ - ٢٧٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٣١.

(٣) تفسير الطبري ١٢/٢٧١، والصحاح (جزء).

(٤) نسبة الجوهرى في الصحاح (جزء) ليزيد بن الطثرية، ونسب لمقرئ بن ربيعي الأسدي كما في شرح شواهد الشافية ٤/٤٨١، واللسان (جزء). وذكر دون نسبة في تأويل مشكل القرآن ص ٢٢٤، وتفسير الطبري ١٢/٢٧١. ووقع في المصادر عدا تفسير الطبري: لا تحسنا، بدل: لا تعجلنا. وذكر صاحب اللسان رواية أخرى وهي: لا تحسناً. وقال في شرح البيت: يقول: لا تحسنا عن شيء اللحم بنزع أصول الشجر، بل خذ ما تيسر من قضبانه وعيدانه. اهـ والشَّيْح: نبت معروف. القاموس (شيخ).

(٥) في إعراب القرآن ٢/٢٦٧.

(٦) القراءات الشاذة ص ٥٨، والمحتسب ١/٣١٦.

(٧) ذكرها أبو حيان في البحر ٥/١٨٧.

وتقدّم القول في «أمين» في آخر الفاتحة^(١) مستوفى. وهو مما خصّ به نبينا محمد ﷺ وهارون وموسى عليهما السلام؛ روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى أُمَّتِي ثَلَاثًا لَمْ تُعْطَ أَحَدًا قَبْلَهُمْ: السَّلَامُ، وَهِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَصَفْوَةُ الْمَلَائِكَةِ، وَآمِينَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مُوسَى وَهَارُونَ» ذكره الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول»، وقد تقدّم في الفاتحة^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمًا﴾ قال الفراء^(٣) وغيره: أمرٌ بالاستقامة على أمرهما والثبات عليه؛ من دعاء فرعون وقومه إلى الإيمان؛ إلى أن يأتيهما تأويل الإجابة. قال محمد بن عليّ وابن جريج: مكث فرعون وقومه بعد هذه الإجابة أربعين سنة ثم أهلكوا^(٤).

وقيل: «استقيما» أي: على الدعاء، والاستقامة في الدعاء ترك الاستعجال في حصول المقصود، ولا يسقط الاستعجال من القلب إلا باستقامة السكينة فيه، ولا تكون تلك السكينة إلا بالرضا الحسن لجميع ما يبدو من الغيب^(٥).

﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بتشديد النون في موضع جزم على النهي، والنون للتوكيد وحُرّكت لالتقاء الساكنين، واختير لها الكسر لأنها أشبهت نون الاثنين^(٦).
وقرأ ابن ذكوان بتخفيف النون على النفي^(٧). وقيل: هو حالٌ من «استقيما»،

(١) ١٩٥/١.

(٢) ٢٠١/١ وذكرنا ثمة أن في إسناده زربي بن عبد الله الأزدي، وهو منكر الحديث. وهو في نوادر الأصول ص ١٨٥.

(٣) في معاني القرآن ٤٧٨/١.

(٤) أخرجه عن ابن جريج الطبري ٢٧٣/١٢، وعن محمد بن عليّ أخرجه ابن أبي حاتم ١٩٨٠/٦ (١٠٥٥٢).

(٥) لطائف الإشارات للقشيري ١١٣/٢، وفيه: يوجدان السكينة، بدل: باستقامة السكينة.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٢، وبنحوه في معاني القرآن للزجاج ٣١/٣.

(٧) السبعة ص ٣٢٩، والتيسير ص ١٢٣ ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر الشامي. وقال مكّي في الكشف عن وجوه القراءات ٥٢٢/١: فيكون لفظه لفظ الخبر، ومعناه النهي.

أي: استقيما غير متبعين^(١).

والمعنى: لا تسلكا طريق من لا يعلم حقيقة وعدي ووعيدي.

قوله تعالى: ﴿وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَاقًّا إِذَا أَدْرَكَهُ الْفُرْقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ تقدم القول فيه في «البقرة» في قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾^(٢) [الآية: ٥٠]. وقرأ الحسن: «وجوّزنا»^(٣)، وهما لغتان. ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ يقال: تبع وأتبع؛ بمعنى واحد: إذا لحقه وأدركه. وأتبع؛ بالتشديد: إذا سار خلفه^(٤).

وقال الأصمعي: يقال: أتبعه؛ بقطع الألف: إذا لحقه وأدركه، وأتبعه؛ بوصل الألف: إذا أتبع أثره، أدركه أو لم يدركه. وكذلك قال أبو زيد. وقرأ قتادة: «فأتبعهم» بوصل الألف^(٥).

وقيل: «أتبعه» - بوصل الألف - في الأمر: اقتدى به. وأتبعه - بقطع الألف - خيراً أو شراً؛ هذا قول أبي عمرو. وقد قيل: هما بمعنى واحد^(٦).

فخرج موسى ببني إسرائيل وهم ستّ مئة ألف وعشرون ألفاً، وتبعه فرعون مُضْبِحاً في ألفي ألف وستّ مئة ألف. وقد تقدّم^(٧).

(١) الكشف عن وجوه القراءات ١/ ٥٢٢ .

(٢) ٨٩/٢ وما بعدها.

(٣) القراءات الشاذة ص ٥٨ .

(٤) تفسير البغوي ٢/ ٣٦٦ .

(٥) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ١٤٠ ، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٥٨ للحسن.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٣١٣ .

(٧) ٩٢/٢ ، وذكر المصنف رحمه الله ثمة أن عدّة قوم فرعون ألف ألف ومتا ألف.

﴿بَغِيًّا﴾ نصب على الحال. ﴿وَعَدُوًّا﴾ معطوف عليه؛ أي: في حال بغي واعتداء وظلم، يقال: عَدَا يَعْدُو عَدْوًا، مثلُ: غَزَا يَغْزُو غَزْوًا. وقرأ الحسن: «وَعُدُّوًّا» بضم العين والداال وتشديد الواو^(١)، مثلُ: علا يعلو علُوًّا. وقال المفسرون: «بغياً» طلباً للاستعلاء بغير حق في القول، «وَعَدُوًّا» في الفعل^(٢)، فهما نصبٌ على المفعول له.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ أي: ناله ووصله. ﴿قَالَ آمَنْتُ﴾ أي: صدقت. ﴿أَنَّهُ﴾ أي: بأنه^(٣)، فلَمَّا حُذِفَ الخافض، تعدَّى الفعلُ فنصبَ. وقرئ بالكسر^(٤)، أي: صرْتُ مؤمناً، ثم استأنف. وزعم أبو حاتم أن القول محذوف^(٥)، أي: آمنت فقلت: إنه، والإيمان لا ينفع حينئذ، والتوبة مقبولة قبل رؤية البأس، وأمَّا بعدها وبعد المخالطة، فلا تُقبل، حَسَبَ ما تقدَّم في «النساء» بيانه^(٦).

ويقال: إن فرعون هاب دخول البحر، وكان على حصان أدهم، ولم يكن في خيل فرعون فرسٌ أنثى، فجاء جبريلُ على فرسٍ وديق - أي: شهِي - في صورة هامان وقال له: تقدَّم، ثم خاض البحر، فتبعها حصان فرعون، وميكائيلُ يسوقهم لا يشدُّ منهم أحد، فلما صار آخِرهم في البحر وهمَّ أولهم أن يخرج، انطبق عليهم البحر، وألجم فرعونَ الغرقُ، فقال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل؛ فدسَّ جبريل في فمه حال البحر^(٧).

وروى الترمذي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا أغرق الله فرعون، قال: آمَنْتُ أنه لا إله إلا الذي آمَنْتُ به بنو إسرائيل، قال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا

(١) القراءات الشاذة ص ٥٨ .

(٢) ينظر تفسير أبي الليث ١١٠/٢ ، وتفسير البغوي ٣٦٦/٢ .

(٣) بعدها في (د) و(م): لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل.

(٤) قرأ بها من السبعة حمزة والكسائي. السبعة ص ٣٣٠ ، والتيسير ص ١٢٣ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٢ .

(٦) ١٥٢/٦ - ١٥٤ .

(٧) أخرجه الطبري ١/٦٥٥ - ٦٦٠ بنحوه عن عبد الله بن شداد بن الهاد وابن عباس ، والحال: الطين الأسود.

أخذ من حال البحر فأدسه فيه مخافة أن تدرّكه الرحمة». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن^(١). حال البحر: الطين الأسود الذي يكون في أرضه؛ قاله أهل اللغة^(٢).

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه ذكر: «أن جبريل جعل يدس في فرعون الطين خشية أن يقول: لا إله إلا الله، فيرحمه الله، أو خشية أن يرحمه». قال: هذا حديث حسن غريب صحيح^(٣).

وقال عون بن عبد الله: بلغني أن جبريل قال للنبي ﷺ: ما ولد إيليس أبغص إلي من فرعون، وإنه لما أدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنْتُ﴾ الآية، فخشيت أن يقولها فيرحم، فأخذت تربة - أو طينة - فحشوتها في فيه. وقيل: إنما فعل هذا به عقوبة له على عظيم ما كان يأتي^(٤).

وقال كعب الأحمبار: أمسك الله نيل مصر عن الجري في زمانه، فقالت له القبط: إن كنت ربنا، فأجر لنا الماء؛ فركب وأمر بجنوده قائداً قائداً، وجعلوا يقفون على درجاتهم، وقعد^(٥) حيث لا يرونه، ونزل عن دابته، وليس ثياباً له أخرى، وسجد، وتضرع لله تعالى، فأجرى الله له الماء، فأتاه جبريل وهو وحده في هيئة مستقيم وقال: ما يقول: الأمير في رجل له عبد، قد نشأ في نعمته لا سند^(٦) له غيره،

(١) سنن الترمذي (٣١٠٧)، وهو عند أحمد (٢٨٢٠). وفيه: علي بن زيد بن جُدعان، وهو ضعيف، ويوسف بن مهران، وهو لين الحديث، لم يرو عنه إلا ابن جُدعان. تقريب التهذيب ص ٣٤٠ و ٥٤١.

(٢) ينظر تهذيب اللغة ٥/٢٤٥، والصحاح (حول).

(٣) سنن الترمذي (٣١٠٨)، وهو عند أحمد (٢١٤٤)، والنسائي في تفسيره (٢٥٨) والحاكم ٢/٣٤٠، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس، ووافقه الذهبي في التلخيص. وأخرج الموقوف أحمد (٢١٤٤)، والنسائي في التفسير (٢٥٨) قال الرازي في تفسيره ١٥٦/١٧: هل يصح أن جبريل عليه السلام أخذ يملأ فمه من الطين لئلا يتوب غضباً عليه، الجواب: الأقرب أنه لا يصح. اهـ وانظر تنمة كلامه، وينظر كلام الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص ٨٥.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣/٣١٤.

(٥) في (م) وقفز.

(٦) في (ز) و(ف): لا سيد.

فكفر نِعَمَهُ، وَجَحَدَ حَقَّهُ، وادَّعى السيادةَ دونه؛ فكتب فرعون: يقول أبو العباس الوليدُ بنُ مصعب بنِ الرِّيَّان: جزاؤه أن يُعَرِّقَ في البحر، فأخذه جبريل ومراً، فلمَّا أدركه الغرق، ناوله جبريل عليه السلام حَظَّهُ^(١). وقد مضى هذا في «البقرة» عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابنِ عباس مُسنَدًا؛ وكان هذا في يوم عاشوراء على ما تقدَّم بيانه في «البقرة» أيضاً، فلا معنى للإعادة^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من الموحِّدين المستسلمين بالانقياد والطاعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَطْعَمُهُمْ لِيُوْجِهَهُمُ إِلَىٰ يَوْمِ تَلْقَوْنَهُمْ﴾

قيل: هو من قول الله تعالى. وقيل: هو من قول جبريل^(٣). وقيل: ميكائيل، صلوات الله عليهما، أو غيرهما من الملائكة^(٤) صلوات الله عليهم. وقيل: هو من قول فرعون في نفسه، ولم يكن ثمَّ قولٌ باللسان بل وقع ذلك في قلبه، فقال في نفسه ما قال، حيث لم تنفعه الندامة؛ ونظيره: ﴿إِنَّمَا نَطْعَمُهُمْ لِيُوْجِهَهُمُ إِلَىٰ يَوْمِ تَلْقَوْنَهُمْ﴾ [الإنسان: ٩]، أثنى عليهم الربُّ بما في ضميرهم، لا أنهم قالوا ذلك بلفظهم، والكلام الحقيقي كلام القلب.

قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ

عَنِ آيَاتِنَا لَعَابُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي: نُلقيك على نجوة من الأرض^(٥). وذلك أن بني إسرائيل لم يصدِّقوا أن فرعون عرِّق، وقالوا: هو أعظم شأنًا من ذلك،

(١) الخبر من الإسرائيليات، وأورد هذه القصة الزمخشري في الكشاف ٢/٢٥١ مختصرة، ولم ينسبها.
(٢) ٩٣/٢ - ٩٤، وقد تقدم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فقط، ولم نقف على حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) تفسير الرازي ١٧/١٥٦.

(٤) بعدها في (ف) و(م): له.

(٥) النكت والعيون ٢/٤٤٩.

فألقاه الله على نَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، أَي: مَكَانٍ مَرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ^(١) حَتَّى شَاهَدُوهُ.
قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ يَصِفُ مَطْرَأً:

فَمَنْ بَعَقَوْتَهُ كَمَنْ بِنَجْوَتِهِ وَالْمُسْتَكِنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقُرْوَاكِ^(٢)
وَقَرَأَ الْبِزْيَدِيُّ وَابْنُ السَّمِيعِ: «نُنْحِيكَ» بِالْحَاءِ؛ مِنَ التَّنْحِيَةِ^(٣)، وَحَكَاهَا عَلْقَمَةُ
عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَي: تَكُونُ عَلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْبَحْرِ^(٤). قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: فَرُمِيَ بِهِ عَلَى
سَاحِلِ الْبَحْرِ حَتَّى رَأَاهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ قَصِيْرًا أَحْمَرَ كَأَنَّهُ ثُوْرٌ^(٥).

وِحَكَى عَلْقَمَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَرَأَ: «بِنْدَائِكَ» مِنَ النَّدَاءِ^(٦). قَالَ أَبُو بَكْرٍ
الْأَنْبَارِيُّ: وَلَيْسَ بِمُخَالَفٍ لِهَجَاءِ مَصْحَفِنَا، إِذْ سَبِيلُهُ أَنْ يَكْتُبَ بِيَاءً وَكَافٍ بَعْدَ الدَّالِ؛
لَأَنَّ الْأَلْفَ تَسْقُطُ مِنْ نَدَائِكَ فِي تَرْتِيبِ خَطِّ الْمَصْحَفِ كَمَا سَقَطَ مِنَ «الظُّلُمَاتِ»
و«السَّمَاوَاتِ»، فَإِذَا وَقَعَ بِهَا الْحَذْفُ؛ اسْتَوَى هَجَاءُ بَدْنِكَ وَنَدَائِكَ، عَلَى أَنَّ هَذِهِ
الْقِرَاءَةُ مَرْغُوبٌ عَنْهَا لِشِدْوَذِهَا وَخِلَافِهَا مَا عَلَيْهِ عَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ يَأْخُذُهَا
آخِرٌ عَنْ أَوَّلٍ، وَفِي مَعْنَاهَا نَقْصٌ عَنْ تَأْوِيلِ قِرَاءَتِنَا، إِذْ لَيْسَ فِيهَا لِلدَّرْعِ ذِكْرٌ، الَّذِي
تَتَابَعَتِ الْآثَارُ بِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اخْتَلَفُوا فِي عَرَقِ فِرْعَوْنَ، وَسَأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُرِيَهُمْ
إِيَّاهُ غَرِيقًا، فَأَلْقَاهُ^(٧) عَلَى نَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ بِيَدِنِهِ، وَهُوَ دَرْعُهُ الَّتِي كَانَ^(٨) يَلْبَسُهَا فِي
الْحُرُوبِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ: وَكَانَتْ دَرْعُهُ مِنْ لَوْلُؤٍ مَنْظُومٍ.

(١) فِي (د) وَ(ز) وَ(ف) وَ(م): الْبَحْرِ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ظ). وَيَنْظُرُ تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ ٢٨١/١٢ - ٢٨٢.

(٢) سَلَفٌ ١٢٤/٧، وَجَاءَ الشُّطْرُ الْأَوَّلُ: فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بَعَقَوْتَهُ. وَقَوْلُهُ: بَعَقَوْتَهُ، أَي: السَّاحَةَ وَمَا حَوْلَ
الدَّارِ وَالْمَحَلَّةِ. وَقُرْوَاكِ: الْبَارِزُ الَّذِي لَيْسَ يَسْتَرُهُ مِنَ السَّمَاءِ شَيْءٌ.

(٣) الْمَحْتَسَبُ ٣١٦/١.

(٤) النَّكْتُ وَالْعِيُونُ ٤٤٩/٢. وَيَنْظُرُ الْقِرَاءَاتِ الشَّاذَّةَ ص ٥٨.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٢٨٢/١٢ - ٢٨٣.

(٦) الْقِرَاءَاتِ الشَّاذَّةَ ص ٥٨، وَالْبَحْرِ الْمَحِيطُ ١٨٩/٥.

(٧) فِي (د) وَ(ز) وَ(ف) وَ(م): فَأَلْقَاهُ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ظ).

(٨) لَفْظَةٌ: كَانَ، لَيْسَتْ فِي (د) وَ(ز) وَ(م).

وقيل: من الذهب وكان يُعرف بها^(١). وقيل: من حديد؛ قاله أبو صخر^(٢). والبَدَن: الدُّرْع القصيرة. وأنشد أبو عبيدة للأعشى:

وبيضاء كالنُّهي مَوْضُونَةٌ لها قَوْنَسٌ فوق جَيْبِ البَدَنِ^(٣)

وأنشد أيضاً لعمر بن معد يكرُب:

ومضى نساؤهم بكل مفاضة

جدلاء سابغة وبالأبدان^(٤)

وقال كعب بن مالك:

تري الأبدان فيها مسبغات

على الأبطال واليَلْب الحَصِينا^(٥)

أراد بالأبدان الدُّرُوع، واليَلْب: الدُّرُوع اليمانية، كانت تُتخذ من الجلود؛ يُخزَر بعضها إلى بعض، وهو اسم جنس، الواحد: يَلْبَة. قال عمرو بن كلثوم:

علينا البيض واليَلْبُ اليماني

وأسياف يُقْمَن وَيَنحَنِينا^(٦)

وقيل: «بيدتك»: بجسد لا روح فيه؛ قاله مجاهد^(٧).

قال الأخفش^(٨): «وأما قول من قال: بدرعك، فليس بشيء». قال أبو بكر: لأنهم

(١) أورد هذا القول الرازي في تفسيره ١٥٧/١٧ ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) النكت والعيون ٤٤٩/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم ١٩٨٤/٦ (١٠٥٧١) وأبو صخر: هو حميد بن زياد ابن أبي المُخَارِق الخراط، مدني، سكن مصر، قال الحافظ ابن حجر في التقريب: صدوق بهم، مات سنة (١٨٩هـ).

(٣) ديوان الأعشى الكبير ص ٧٥، والنُّهي: الغدير، أو شبهه. والموضونة: الدُّرْع المنسوجة حلقتين حلقتين، أو بالجواهر. والقونس: أعلى بيضة الحديد. القاموس المحيط (نهي) و(وضن) و(قنس).

(٤) ديوان عمرو بن معد يكرُب ص ١٧٣. وقوله: مفاضة: المفاضة من الدُّرُوع: الواسعة. وجدلاء: الجدلاء من الدُّرُوع: المحكمة.

(٥) ديوان كعب ص ٢١٧، ونسبه ابن هشام في السيرة ٢٥٤/٢ لضرار بن الخطاب بن مرداس.

(٦) معلقة عمرو بن كلثوم ص ١٠٢. قال شارحها ابن كيسان: البيض: الحديد.

(٧) النكت والعيون ٤٤٩/٢، وأخرجه الطبري ٢٨١/١٢.

(٨) في معاني القرآن ٥٧٤/٢، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٦٨/٢.

لَمَّا ضَرَعُوا إِلَى اللَّهِ يَسْأَلُونَهُ مَشَاهِدَةً فَرَعُونَ غَرِيقًا، أْبْرَزَهُ لَهُمْ، فَأَوْأَوْ جَسَدًا لَا رُوحَ فِيهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا: نَعَمْ يَا مُوسَى، هَذَا فَرَعُونَ وَقَدْ غَرِقَ، فَخَرَجَ الشُّكُّ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَابْتَلَعَ الْبَحْرُ فَرَعُونَ كَمَا كَانَ^(١).

فعلى هذا ﴿تُنَجِّكَ بِيَدِنَا﴾ احتمل معنيين: أحدهما: نُثَقِّبُكَ عَلَى نَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ.

والثاني: نَظَّهَرَ جَسَدَكَ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ.

والقراءة الشاذة «بندائك» يرجع معناها إلى معنى قراءة الجماعة، لأن النداء يُفسَّرُ تفسيرين:

أحدهما: نُثَقِّبُكَ بِصِيَاحِكَ بِكَلِمَةِ التَّوْبَةِ، وَقَوْلِكَ - بَعْدَ أَنْ أُغْلِقَ بِأُفِّهِ وَمَضَى وَقْتُ قَبُولِهَا -: ﴿ءَامَنْتُ أَنْهَ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ عَلَى مَوْضِعِ رَفِيعٍ.

وَالْآخَرَ: فَالْيَوْمَ نَعْرِزُكَ عَنِ غَامِضِ الْبَحْرِ بِبَدَائِكَ لَمَّا قُلْتَ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى، فَكَانَتْ تَنْجِيئُهُ بِالْبَدَنِ مَعَاقِبَةً مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَهُ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْ كُفْرِهِ الَّذِي مِنْهُ نَدَاؤُهُ بِالَّذِي^(٢) افترى فيه وبهت، وأدعى القدرة والأمر الذي يعلم أنه كاذب فيه، وعاجز عنه، وغير مستحق له.

قال أبو بكر الأنباري: فقراءتنا تتضمن ما في القراءة الشاذة من المعاني وتزيد عليها.

قوله تعالى: ﴿لِنَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ أي: لبني إسرائيل، ولمن بقي من قوم فرعون ممن لم يدركه الغرق، ولم ينته إليه هذا الخبر. ﴿وَلِإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ أي: معرضون عن تأمل آياتنا والتفكير فيها.

وقرئ: «لِمَنْ خَلَقَكَ» - بفتح اللام -؛ أي: لمن بقي بعدك يخلقك في أرضك.

(١) ينظر ياقوتة الصراط لمحمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب ص ٢٥٨.

(٢) في (م): الذي.

وقرأ علي بن أبي طالب: «لمن خلقك» بالقاف، أي: تكون آية لخالقك^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صَدَقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صَدَقٍ﴾ أي: منزل صدقٍ محمودٍ مختار، يعني مصر. وقيل: الأردن وفلسطين. وقال الضحاك: هي مصر والشام^(٢). ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: من الثمار وغيرها. وقال ابن عباس: يعني: فريضة والنضير وأهل عصر النبي ﷺ من بني إسرائيل^(٣)، فإنهم كانوا يؤمنون بمحمد ﷺ وينتظرون خروجه، ثم لما خرج حسدوه؛ ولهذا قال: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ أي: في أمر محمد ﷺ. ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي: القرآن ومحمد ﷺ^(٤). والعلم بمعنى المعلوم؛ لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه؛ قاله ابن جرير الطبري^(٥). ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي: يحكم بينهم ويفصل. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا، فيثيب الطائع ويعاقب العاصي.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَفْقَهُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره^(٦)، أي: لست في شكٍ ولكن غيرك شك. قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد^(٧):

(١) ذكر هاتين القراءتين أبو حيان في البحر المحيط ١٨٩/٥ بلا نسبة.

(٢) تفسير البغوي ٣٦٧/٢، وقول الضحاك أخرجه الطبري ٢٨٤/١٢.

(٣) أورده الواحدي في الوسيط ٥٥٩/٢، والرازي في تفسيره ١٥٩/١٧.

(٤) زاد المسير ٦٣/٤.

(٥) في تفسيره ٢٨٤/١٢ - ٢٨٥.

(٦) الوسيط ٥٥٩/٢، وتفسير البغوي ٣٦٨/٢.

(٧) في ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

سمعت الإمامين ثعلبياً والميرد يقولان: معنى ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ﴾ أي: قل: يا محمد للكافر: فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك^(١). ﴿فَتَشَلِّ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: يا عابد الوثن، إن كنت في شك من القرآن، فاسأل من أسلم من اليهود، يعني: عبد الله بن سلام وأمثاله؛ لأن عبدة الأوثان كانوا يُقرؤون لليهود أنهم أعلم منهم من أجل أنهم أصحاب كتاب، فدعاهم الرسول ﷺ إلى أن يسألوا من يُقرؤون بأنهم أعلم منهم: هل يبعث الله برسول من بعد موسى؟.

وقال القُتبي: هذا خطاب لمن كان لا يقطع بتكذيب محمد ولا بتصديقه ﷺ، بل كان في شك^(٢).

وقيل: المراد بالخطاب النبي ﷺ لا غيره، والمعنى: لو كنت ممن^(٣) يُلحَقك الشك فيما أخبرناك به، فسألت أهل الكتاب، لأزالوا عنك الشك^(٤).

وقيل: الشك ضيق الصدر، أي: إن ضاق صدرك بكفر هؤلاء فاصبر، واسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك يخبروك صبر الأنبياء من قبلك على أذى قومهم، وكيف عاقبة أمرهم.

والشك في اللغة، أصله: الضيق؛ يقال: شك الثوب، أي: ضمَّه بخلال^(٥) حتى يصير كالوعاء. وكذلك السفرة تُمدُّ^(٦) علائقها حتى تنقبض، فالشك يقبض الصدر ويضمُّه^(٧) حتى يضيق.

وقال الحسين بن الفضل: الفاء مع حروف الشرط لا توجب الفعل ولا تثبته، والدليل

(١) قوله: مما أنزلنا إليك، من (م).

(٢) ينظر تأويل مشكل القرآن له ص ٥٨ و ٢٠٩.

(٣) لفظة: ممن، ليست في (م).

(٤) ينظر النكت والعيون ٢/٤٥٠.

(٥) الخلال: العود الذي يُتخلل به، وما يُخلل به الثوب أيضاً. الصحاح (خلل).

(٦) كذا في النسخ الخطية، والظاهر أنها: تُشك.

(٧) في (ز) و(ظ): ويغمه.

عليه ما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال لما نزلت هذه الآية: «والله لا أشك [ولا أسأل]»^(١).

ثم استأنف الكلام فقال ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: الشاكِّين المرتابين. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ والخطاب في هاتين الآيتين للنبي ﷺ والمراد غيره^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ بَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تقدّم القول فيه في هذه السورة^(٣). قال قتادة: أي: الذين حقّ عليهم غضبُ الله وسخطه بمعصيتهم لا يؤمنون^(٤). ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ أنث «كلاً» على المعنى، أي: ولو جاءتهم الآيات^(٥). ﴿حَتَّىٰ بَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فحينئذ يؤمنون ولا ينفعهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يَبُوءُونَ لِمَا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَازَابَ الْعِزِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ قال الأخفش والكسائي: أي: فهلاً. وفي مصحف أبيّ وابن مسعود: «فهلاً»، وأصل «لولا» في الكلام التحضيض، أو الدلالة على منع أمر لوجود غيره.

ومفهوم من معنى الآية نفي إيمان أهل القرى، ثم استثنى قوم يونس، فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع، وهو بحسب المعنى متصل؛ لأن تقديره: ما آمن أهل قرية إلا

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٢٩٨، والطبري ١٢/٢٨٨ عن قتادة، وهو مرسل وما بين حاصرتين منهما.

(٢) تفسير البغوي ٢/٣٦٨.

(٣) ٤٩٨/١٠.

(٤) أخرجه الطبري ١٢/٢٩٠.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٨.

قوم يونس. والنصبُ في «قوم» هو الوجه، وكذلك أدخله سيبويه في: باب ما لا يكون إلا منصوباً^(١).

قال النحاس^(٢): «إلا قومَ يونس» نصب؛ لأنه استثناءٌ ليس من الأول، أي: لكنَّ قومَ يونس؛ هذا قول الكسائي والأخفش والفراء^(٣). ويجوز: «إلا قومُ يونس» بالرفع، ومن أحسن ما قيل في الرفع ما قاله أبو إسحاق الزجاج^(٤) قال: يكون المعنى: غير قوم يونس، فلما جاء بـ «إلا»؛ أعرب الاسم الذي بعدها بإعراب «غير» كما قال: وكلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أخوه لَعَمْرُ أَبِيكَ إلا الفَرَقْدَانِ^(٥)

وروي في قصة قوم يونس عن جماعة من المفسرين: أن قوم يونس كانوا بيننوى من أرض الموصل، وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإسلام وترك ما هم عليه فأبوا، فقيل: إنه أقام يدعوهم تسع سنين، فيئس من إيمانهم؛ فقيل له: أخبرهم أن العذاب مُصَبَّحُهُم إلى ثلاثِ ففعل، وقالوا: هو رجل لا يكذب، فارتقبوه، فإن أقام معكم وبين أظهركم فلا عليكم، وإن ارتحل عنكم فهو نزولُ العذاب لا شك، فلما كان الليلُ تزود يونس وخرج عنهم، فأصبحوا فلم يجدوه، فتابوا ودعوا الله، ولبسوا المُسوخَ، وفرقوا بين الأمهات والأولاد من الناس والبهائم، وردوا المظالم في تلك الحالة^(٦).

وقال ابن مسعود: وكان الرجلُ يأتي الحجرَ قد وُضِعَ عليه أساسُ بُنيانه، فيقتلعه

(١) الكتاب ٢/٣٢٥، وعنوان الباب فيه: هذا باب ما لا يكون إلا على معنى ولكن. اه. وهذا الكلام وما قبله من المحرر الوجيز ٣/١٤٣ - ١٤٤.

(٢) في إعراب القرآن ٢/٢٦٨.

(٣) في معاني القرآن له ١/٤٧٩.

(٤) في معاني القرآن له ٣/٣٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٦٩، وجواز الرفع المذكور يعني في اللغة، لا في القراءة.

(٥) نسبه سيبويه في الكتاب ٢/٣٣٤، والمبرد في الكامل ٣/١٤٤٤ لعمر بن معدى كرب، ونسبه الأمدى في المؤلف والمختلف ص ١١٦ لحضرمي بن عامر. وينظر الخزانة ٣/٤٢١ و ٤٢٦.

(٦) أخرجه الطبري ١٢/٢٩٣ عن قتادة بنحوه، وينظر المحرر الوجيز ٣/١٤٤، وزاد المسير ٤/٦٥.

فيردّه^(١)، والعذابُ منهم فيما رُوي عن ابن عباس على ثلثي ميل. وروى على ميل^(٢). وعن ابن عباس أنهم غَشِيَتْهُمْ ظُلَّةٌ وفيها حُمْرَةٌ، فلم تزلُ تدنو حتى وجدوا حرَّها بين أكتافهم^(٣). وقال ابن جبير: غَشِيَتْهُمْ العذابُ كما يُغشي الثوب القبر، فلما صحَّت توبتهم رفعَ اللهُ عنهم العذاب^(٤).

وقال الطبري^(٥): خُصَّ قومُ يونس من بين سائر الأمم بأن تيبَّ عليهم بعد معاناة العذاب. وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين.

وقال الزجاج^(٦): إنهم لم يَقَعْ بهم العذاب، وإنما رأوا العلامة التي تدلُّ على العذاب، ولو رأوا عينَ العذاب لَمَا نفعهم الإيمانُ.

قلت: قولُ الزجاج حَسَنٌ، فإنَّ المعاينة التي لا تنفع التوبةَ معها هي التلبُّسُ بالعذاب كقصة فرعون، ولهذا جاء بقصة قوم يونس على أثر قصة فرعون؛ لأنه آمن حين رأى العذاب فلم ينفعه ذلك، وقومُ يونس تابوا قبل ذلك^(٧). وَيَعْضُدُ هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ توبَةَ العبدِ ما لم يُغْرَغْ»^(٨). والغرغرة: الحَشْرَجَة، وذلك هو حالُ التلبُّس بالموت، وأما قبلَ ذلك فلا. والله أعلم.

وقد رُوِيَ معنى ما قلناه عن ابن مسعود، وأنَّ يونسَ لَمَّا وَعَدَهُم العذابَ إلى ثلاثة أيام خرجَ عنهم، فأصبحوا فلم يجدوه، فتابوا وفرَّقوا بين الأمَّهات والأولاد^(٩).

(١) عرائس المجالس ص ٤١٢ .

(٢) عرائس المجالس ص ٤١١ ، والمحرر الوجيز ٣/ ١٤٤ ، وقول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري ١٢/ ٢٩٤ .

(٣) ذكره بنحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٦٥ .

(٤) أخرجه الطبري ١٢/ ٢٩٥ ، وهو في المحرر الوجيز ٣/ ١٤٤ .

(٥) في تفسيره ١٢/ ٢٩١ ، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ١٤٤ .

(٦) في معاني القرآن ٣/ ٣٤ .

(٧) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ١٤٤ .

(٨) سلف ٥/ ١٩٧ .

(٩) أخرجه الطبري ١٢/ ٢٩٦ ، وسلف نحوه قريباً .

وهذا يدلُّ على أن توبتهم قبل رؤية علامة العذاب. وسيأتي مسنداً مبيناً في سورة الصافات إن شاء الله تعالى^(١). ويكون معنى ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ أي: العذاب الذي وعدهم به يونس أنه ينزل بهم، لا أنهم رأوه عياناً ولا مُخايَلةً، وعلى هذا لا إشكال ولا تعارض ولا تحوُّص، والله أعلم.

وبالجملة؛ فكان أهل نينوى في سابق العلم من السعداء.

وروي عن عليّ ؑ أنه قال: إِنَّ الْحَدَرَ لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ، وَإِنَّ الدَّعَاءَ لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ. وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يَبْغُونَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. قال عليّ ؑ: وذلك يوم عاشوراء^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَتَّعْتُمُ الْإِنْسَانَ فِي مَا يَكْفُرُ﴾ قيل: إلى أجلهم، قاله السديُّ وقيل: إلى أن يصيروا إلى الجنة أو إلى النار، قاله ابن عباس^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: لا اضطربهم إليه. «كلهم» تأكيد لـ «من». «جميعاً» عند سيبويه نصب على الحال^(٤). وقال الأخفش^(٥): جاء بقوله: «جميعاً» بعد «كل» تأكيداً، كقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا لِلنَّهْيِ أَتْنِينَ﴾ [النحل: ٥١].

قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: كان النبي ﷺ

(١) في تفسير الآيات ١٣٩ - ١٤٨ .

(٢) النكت والعيون ٢/٤٥٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/١٩٨٧ و ١٩٨٨ ، وأخرج القسم الأول منه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٢١٢).

(٣) أخرجهما ابن أبي حاتم ٦/١٩٨٩ - ١٩٩٠ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٩ .

(٥) في معاني القرآن ٢/٥٧٤ .

حريصاً على إيمان جميع الناس، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبقته له السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبقته له الشقاوة في الذكر الأول^(١).
وقيل: المراد بالناس هنا أبو طالب، وهو عن ابن عباس أيضاً^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ «ما» نفي، أي: ما ينبغي أن تؤمن نفس إلا بقضائه وقدره ومشيئته وإرادته^(٣). ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ وقرأ الحسن وأبو بكر والمفضل: «ونجعل» بالنون على التعظيم^(٤).

والرِّجْس: العذاب، بضم الراء وكسرهما، لغتان^(٥). ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أمر الله عز وجل ونهيه^(٦).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أمر للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع والقادر على الكمال^(٧). وقد تقدّم القول في هذا

(١) أخرجه الطبري ٢٩٨/١٢، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٩)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الحافظ ابن حجر في التقريب: علي بن أبي طلحة أرسل عن ابن عباس ولم يره.

(٢) ذكره أبو الليث ١١٢/٢ دون نسبة.

(٣) ينظر تفسير أبي الليث ١١٢/٢.

(٤) قراءة أبي بكر - يعني عن عاصم - من السبعة، ولم تقف على من نسبها للحسن أو المفضل. وينظر السبعة ص ٣٣٠، والتيسير ص ١٢٣.

(٥) في معاجم اللغة: الرِّجْس، بكسر الراء فقط. والرِّجْز، بكسر الراء وضمها. والرِّجْس والرِّجْز معناهما واحد. ينظر اللسان (رجس) و(رجز).

(٦) تفسير البغوي ٣٧٠/٢.

(٧) المحرر الوجيز ١٤٥/٣.

المعنى في غير موضع مستوفى^(١). ﴿وَمَا تُغْنِي﴾ «ما» نفي، أي: ولن تغني. وقيل: استفهامية، التقدير: أي شيء تُغني؟^(٢) ﴿الَّذِينَ﴾ أي: الدلالات. ﴿وَالَّذُرُ﴾ أي: الرُّسل، جمعُ نذير، وهو الرسول. ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: عمَّن سبق له في علم الله أنه لا يُؤمن^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَارِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَارِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأيام هنا بمعنى الوقائع، يقال: فلان عالمٌ بأيام العرب، أي: بوقائعهم. قال قتادة: يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. والعربُ تُسمِّي العذابَ أياماً والنعمَ أياماً، كقوله تعالى: ﴿وَذَكَّرْتَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ [إبراهيم: ٥]. وكلُّ ما مضى لك من خيرٍ أو شرٍّ فهو أيام^(٤). ﴿فَانظُرُوا﴾ أي: تَرَبَّصُوا. وهذا تهديدٌ ووعيد. ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ أي: المُترَبِّصين لموعد ربي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: من سُنتنا إذا أنزلنا بقوم عذاباً أخرجنا من بينهم الرُّسلَ والمؤمنين، و«ثمَّ» معناه: ثم اعلّموا أَنَا نُنَجِّي رُسُلَنَا^(٥). ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي: واجباً علينا؛ لأنه أخبر، ولا تُخلف في خبره. وقرأ يعقوب: «ثم نُنَجِّي» مُخَفَّفًا^(٦). وقرأ الكسائيُّ وحفص ويعقوب: «نُنَجِّي المؤمنين»

(١) ينظر ٣٩٩/٩.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ١٤٥/٣، والكشاف ٢٥٥/٢.

(٣) ينظر تفسير أبي الليث ١١٣/٢.

(٤) تفسير البغوي ٣٧١/٢، وقول قتادة أخرجه الطبري ٣٠٢/١٢.

(٥) ينظر تفسير الطبري ٣٠٢/١٢ - ٣٠٣.

(٦) النشر ٢٨٧/٢.

مُخَفَّفًا، وشَدَّدَ الباقون^(١)، وهما لغتان فصيحتان: أنجى يُنجِي إنجاء، ونَجَّى يُنجِي تنجية، بمعنى واحد^(٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾
قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يريد كُفَّارَ مكة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ أي: في ريب من دين الإسلام الذي أَدْعُوكم إليه. ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأوثان التي لا تَعْقِل. ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ﴾ أي: يُمِيتكم وَيَقْبِض أرواحكم. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: المُصَدِّقِينَ بآيات رَبِّهِمْ^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾
قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ﴾ «أَنْ» عطفٌ على «أَنْ أَكُونَ»^(٤) أي: قيل لي: كن من المؤمنين، وَأَقِمَّ وَجْهَكَ. قال ابن عباس: عَمَلِك^(٥)، وقيل: نَفْسُكَ، أي: استقم بإقبالك على ما أَمَرْتُ به من الدِّينِ. ﴿حَنِيفًا﴾ أي: قويمًا به مائلًا عن كل دين^(٦). قال حمزة بن عبد المطلب ﷺ:

حَمِدْتُ اللَّهَ حِينَ هَدَى فِؤَادِي مِنَ الإِشْرَاقِ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ^(٧)

(١) السبعة ص ٣٣٠، والتيسير ص ١٢٣، وقراءة يعقوب - من العشرة - في النشر ٢/٢٨٧.

(٢) ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٥٢٣، وتفسير البغوي ٢/٣٧١.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٢/٣٠٣ - ٣٠٤.

(٤) تفسير الطبري ١٢/٣٠٤.

(٥) تفسير البغوي ٢/٣٧١.

(٦) ينظر المحرر الوجيز ٣/١٤٦.

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٢/٤٥٣.

وقد مضى في «الأنعام» اشتقاقه^(١)، والحمد لله.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: وقيل لي: لا تُشرك، والخطاب له، والمراد غيره، وكذلك قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾ أي: لا تعبد. ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن عبدته. ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن عصيته. ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ أي: عبدت غير الله. ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الواضعين العبادة في غير موضعها^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنَّ يُرَدُّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي: يُصِيبُكَ بِهِ ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ أي: لا دافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنَّ يُرَدُّكَ بِخَيْرٍ﴾ أي: يُصِيبُكَ بِرَحْمَةٍ وَنِعْمَةٍ ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بكل ما أراد من الخير والشر. ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لذنوب عباده وخطاياهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه في الآخرة^(٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن. وقيل: الرسول ﷺ. ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى﴾ أي: صدق محمداً وآمن بما جاء به^(٤). ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي: لخلاص نفسه. ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ أي: ترك الرسول والقرآن، واتبع الأصنام والأوثان^(٥). ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: وبال ذلك على نفسه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾

(١) سلف اشتقاق «حنيفاً» في سورة البقرة ٢/٤١٤ - ٤١٥، أما في «الأنعام» ٨/٤٤٢ فذكر المصنف رحمه الله معناه فقط.

(٢) تفسير البغوي ٢/٣٧١.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٢/٣٠٥.

(٤) ينظر تفسير أبي الليث ٢/١١٤.

(٥) ينظر تفسير الطبري ١٢/٣٠٦.

أي: بحفيظ أحفظ أعمالكم؛ إنما أنا رسولٌ. قال ابن عباس: نسختها آية السيف^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُفَّ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَائِفِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ﴾ قيل: نُسخَ بآية القتال^(٢). وقيل: ليس منسوخاً^(٣)، ومعناه: إصْبِرْ على الطاعة وعن المعصية.

وقال ابن عباس: لَمَّا نزلت؛ جمع النبي ﷺ الأنصار، ولم يجمع معهم غيرهم فقال: «إنكم ستجدون بعدي أثرَةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض». وعن أنس بمثل ذلك، ثم قال أنس: فلم يصبروا^(٤).

فأمرهم بالصبر كما أمره الله تعالى. وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان^(٥):

ألا أبلغ معاوية بن حرب أمير المؤمنين نثا كلامي
بأننا صابرون ومُنظرون إلى يوم التغابن والخصام^(٦)
﴿حَتَّىٰ يَخُفَّ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَائِفِينَ﴾ ابتداءً وخبر، لأنه عز وجل لا يحكم إلا
بالحق^(٧).

تمت سورة يونس، والحمد لله وحده.

(١) تفسير البغوي ٣٧٢/٢، وزاد المسير ٧١/٤.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٧١/٢، وقال: إنما نسخ منها الصبر عليهم.

(٣) ينظر زاد المسير ٧١/٤.

(٤) لم نقف عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج حديث أنس - دون ذكر أنه ﷺ جمعهم لما نزلت الآية - أحمد (١٢٦٩٦)، والبخاري (٣١٤٧)، ومسلم (١٠٥٩) وهو في قصة إعطاء النبي ﷺ رجلاً من قريش من أموال هوازن. وفي الباب عن عبد الله بن زيد ﷺ عند أحمد (١٦٤٧٠)، والبخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٥) ابن ثابت الأنصاري، المدني، الشاعر ابن الشاعر، وأمه سيرين خالة إبراهيم ابن النبي ﷺ، قيل: وُلد في حياة النبي ﷺ. توفي سنة (١٠٤هـ). السير ٦٤/٥.

(٦) الاستيعاب ١٠/١٤٧، وذكر ابن عبد البر قصة في هذين البيتين. وقوله: نثا: جاء في القاموس (نثو): نثا الحديث: حدّث به وأشاعه، والنثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٠.